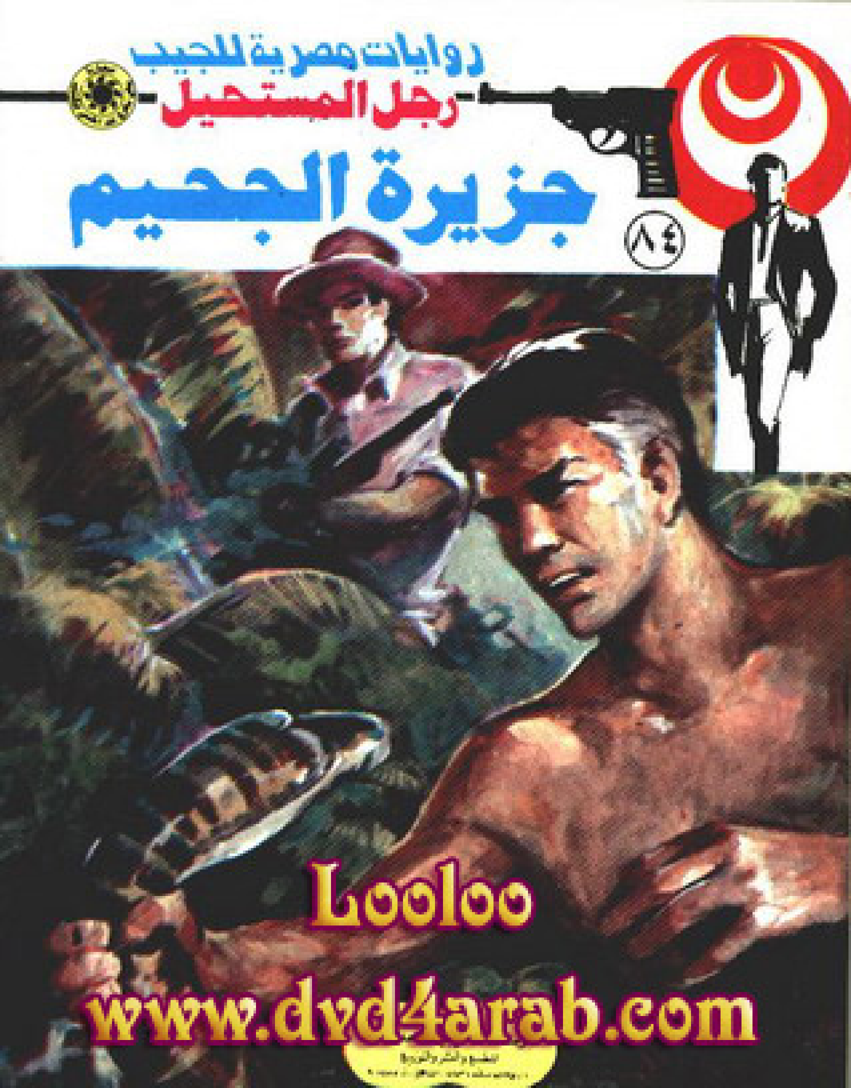

روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل
جزيرة الجحيم
٨٤
Looloo
www.dvd4arab.com

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات .. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل ، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل) .

د. نبيل فاروق

١ ــ بعيدًا ..

« هل استسلمت للنوم ؟.. »

نطقت (منى توفيق) هذه العبارة فيما يشبه الهمس ، وتدفق معها نهر من حنانها ورقتها ودفئها ، وهى تتطلع إلى وجه (أدهم صبرى) ، الذى استرخى بجسده فى ذلك المقعد الوثير ، فى حجرة مكتبها ، أمام النافذة ، وقد أسبل جفنيه ، ولاذ بالصمت التام ، وتمنت لحظتها لو أنها احتضنت رأسه بكفيها ، وأراحتها على صدرها ، تمنحه المزيد من حنانها ودفئها ، بعد كل ما لاقى من أهوال ، طوال عام وربع العام ..

والواقع أن تلك العاطفة الجياشة فى أعماقها ، كانت قادرة على تحويل تلك الأمنية إلى حقيقة واقعة ، لولا أن انفرج جفنا (أدهم) فى بطء ، وارتسمت على شفتيه ابتسامة رقيقة ، وهو يجيب :

ــ لا .. ليس بعد .

منحته ابتسامة تحوى كل حنانها وحبها ، وهى تناوله قدح القهوة ، قائلة :

ــ لقد أحضرت القهوة .

ابتسم وهو يلتقط القدح من بين أصابعها ، متمتمًا :

ــ شكرًا .

تأمّلته لحظات في صمت ، ثم حملت قدحها ، واتجهت إلى مقعد آخر ، في الركن المقابل للحجرة ، وارتشفت رشفة صغيرة من القهوة ، ثم تطلّعت عبر النافذة ، وقالت في حذر ، وكأنها تخشى كسر ذلك الهدوء ، الذى يسود الحجرة منذ دقائق :

ــ يبدو أن الطقس في سبيله إلى التحسّن .

أومأ (أدهم) برأسه إيجابًا ، وقال بدوره :

ــ هذا صحيح .. لقد توقّف انهمار الأمطار ، وأظن السحب تنقشع ، فضوء القمر يتسلّل عبرها ..

تمتمت :

ــ أجل .

عاد الصمت يغلّف الحجرة تمامًا ، و (أدهم) يرتشف رشفات القهوة في بطء ، و (منى) تملأ عينيها بوجهه ، وكأنها مازالت تخشى أن يكون وجوده أمامها مجرّد حلم ، لم يفارق خيالها قط ، منذ فقدته في صحراء (المكسيك)(*) ..

(*) راجع قصة (وكر الإرهاب) .. المغامرة رقم (٨٠) .

وفي شرود ، تركت ذاكرتها تنطلق بعيدًا ..

إلى حيث بدأ كل شيء ..

بل المصطلح الأدق هو : حيث انتهى كل شيء ..

عندما انفجر وكر (بانشو سيلازر) في الصحراء المكسيكية ، و (أدهم داخله) ..

أيامها اعتبر الجميع أن (أدهم صبرى) قد لقي حتفه رسميًا ، واندفنت جثته تحت أنقاض وركام الوكر المتهدّم ، الذى انسحق على رءوس من فيه سحقًا ..

ولكن الحقيقة كانت تخالف هذا ..

لقد نجا (أدهم) ..

نجا من انفجار الوكر في أعجوبة ..

بل بمعجزة ..

ولكنه فقد الذاكرة ..

فقدها تمامًا ، وكأنما هو كائن جديد ، هبط إلى الأرض في عالم لم يعد له وجود ..

وفي قلب الصحراء المكسيكية ، عثر عليه الممرّض المكسيكي الكهل (برونكو فيلا) ، وابنته (ماريانا) ، وعالجاه من جراحه في منزلهما في (كيراوا) ، وعاش معهما أربعة شهور كاملة ، وهو يحمل اسم (أميجو) ، بعد أن فقدت ذاكرته كل مايتعلّق بحياته الأولى ..

ولكن القدر لم يكن ليترك رجل المستحيل هكذا ..

بلا صراع ..

لقد اشتعل الأمر فجأة ، على يد أمريكى يُدعى (توماس موران) ، يتبع منظمة (سكوربيون) ، ويسعى لشراء (كيواوا) كلها ، ومنها مزرعة (برونكو) ..

وكان الصدام ..

وكانت معركة رهيبة ، بين (أدهم) ، الذى تقوده غريزته فقط ، وكل جيش (توماس) ..

وانتهى الأمر بمصرع (توماس) فى هذه الجولة ، ولكن منصبه الشاغر لم يلبث أن امتلأ برجل رهيب ، يطلق عليه الجميع اسم (الأخطبوط) ..

رجل يُدعى (كال) ..

وأعلنها (كال) حربًا ضروسًا على (أدهم) ، وسعى لتحطيمه ونسفه ..

ثم ظهرت (سونيا جراهام) على مسرح الأحداث ..

ظهرت تحمل اسم (نورما كرينهال) ، وجنسية مليونيرة ألمانية ، جاءت من موطنها استجابة لمحادثة هاتفية ، من أحد طيارى (كال) ، وسعت لقتل (أدهم) ..

ولكنها لم تجد هذا الأخير ..

لقد وجدت أمامها رجلًا جديدًا ، فاقد الذاكرة ، محاطًا بالأعداء من كل جانب ..

وهنا برزت مشاعر (سونيا) الحقيقية ، وأزاحت قناع البغض عن وجهها ، ليبرز من خلفه حبها ..

حبها للرجل الذى تتقاتل معه منذ سنوات وسنوات ..

حبها لـ (أدهم صبرى) ..

وفجأة ، انتقلت (سونيا جراهام) ، فى حياة (أدهم) ، من خانة العدو إلى خانة الصديق ..

بل خانة الحبيبة العاشقة ..

ولأول مرة فى عمرها ، تفجر نبع الأنوثة فى أعماق (سونيا جراهام) ..

(سونيا) العاشقة ..

وقاتلت (سونيا) من أجل (أدهم) ..

تفاوضت مع (كال) ، وساومت (چوزيه) ، ورشت العشرات والعشرات ..

ونجا (أدهم) ..

بل صار زوجًا لـ (سونيا) ، وقد نجحت تلك الأفعى الناعمة ، فى إقناع ذاكرته المرتبكة أنها هى الفتاة التى أحبها طيلة عمره ..

ولكن الأمر لم ينته عند هذه النقطة ..

لقد واصل رجال (سكوربيون) تحرياتهم ، لكشف أمر (أميجو) الغامض ، ونبش ماضيه المجهول ..

وبرزت الحقيقة ..

عرف زعيم (سكوربيون) حقيقة (أدهم) وأرسل رجاله لاقتناصه ..

ووقع (أدهم) في قبضة (سكوربيون) ، حيث نقله رجالها إلى جزيرتهم (تيرور) ، ليمثل أمام زعيمهم (هنتر) ..

وجنّ جنون (سونيا) ..

لم يكن مبعث جنونها هو اقتناص (أدهم) فحسب ، وإنما خوفها من استعادته ذاكرته ، وتخلّيه عنها ..

وانطلقت (سونيا) تدافع عن أنوثتها وزوجها ، ولم تدّخر وسعًا في بلوغ (تيرور) ، فاقتحمت وكر (كال) ، وقتلت هذا الأخير بلا رحمة ، ثم سرقت طائرته ، وانطلقت بها إلى (تيرور) ، وراحت تسفك الدماء في طريقها بلا هوادة أو تردد ، وكأنما استعادت طبيعتها الشرسة المقاتلة ..

وفي نفس الوقت ، كان (هنتر) يواجه (أدهم) بحقيقة الموقف ..

لقد قرّر (هنتر) أن يجعل من (أدهم) فريسته وطريدته الجديدة ، فأطلقه في قلب أحراش (تيرور) بلا سلاح ، وأمهله ساعة كاملة ، قبل أن ينطلق خلفه ، برجاله وكلاب

الصيد والبنادق والمدافع الرشاشة ..

واخترق (أدهم) أحراش (تيرور) الغامضة ..

وبدأت أغرب عملية صيد في التاريخ ..

صيد البشر ..(*)

* * *

« إلى أين ذهبت ؟.. »

انتفض جسد (منى) ، عندما انتزعها صوت (أدهم) من أفكارها ، وارتجف قدح القهوة بين أصابعها ، فالتقطت نفسًا عميقًا ، وابتسمت في ارتباك ، وهي تغمغم في حياء ..

ـ كنت أستعيد ذكرى ما أخبرتني به .

ابتسم قائلًا :

ـ هل أصبح ما أرويه مجرّد ذكرى بهذه السرعة ؟..

ضحكت في خجل ، وقالت :

ـ كنت أمنحك فترة من الصمت والتفكير ، قبل أن تعاود حديثنا ، وتروي لي ماذا حدث في (تيرور) .

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الأجزاء الثلاثة الأولى ، (الرجل الآخر) ، (الأخطبوط) ، (معركة القمة) ، المغامرات رقم (٨١) (٨٢) (٨٣) .

بدت ابتسامته شاردة ، وعيناه تراقبان شروق الشمس . عبر زجاج النافذة ، قبل أن يقول فى خفوت :

ـــ كانت تجربة طريفة .

ثم اعتدل ، ووضع قدح القهوة الفارغ على منضدة قريبة ، واستعاد حيويته كلها دفعة واحدة كعادته ، وقال :

ـــ كان (هنتر) هذا ساديًا دمويًا ، يعشق القتل وإراقة الدماء ، وابتسم فى سخرية ، وهو يضيف :

ـــ ثم أنه لم يكن شريفًا فى قتاله .

سألته فى اهتمام .

ـــ ماذا تعنى؟

استرخى فى مقعده ، قائلًا :

ـــ سأخبرك .

وعاد يروى قصته ..

* * *

لم يرفع (هنتر) منظاره المقرّب عن عينيه ، طوال ربع ساعة كاملة ، لم ينبس خلالها ببنت شفة ، أو تبدر منه حركة واحدة ، حتى لقد بدا أشبه بتمثال من الشمع . انتصب فوق تلك الربوة فى قمة (تيرور) ، رمزًا للعنف والرعب ، الكامنين فى اسمها ..

وأخيرًا خفض زعيم (سكوربيون) منظاره ، وابتسم فى جذل شرس ، وهو يقول :

ـــ رائع .. هذا المصرى محترف بحق .. لقد انطلق بلا تردّد فى اتجاه الأحراش ، وانتقى منطقة كثيفة الأغصان ، تنبت فيها نباتات نفّاذة الرائحة ، حتى يمكنه إرباك مطارديه ، وإفساد حاسة الشمّ لدى كلاب الصيد ، ثم اختار انطلاقته فى مواجهة الشمس ، حتى تكون الشمس فى عيوننا دائمًا ، ونحن نطارده ..

اتسعت ابتسامته أكثر ، وهو يهزّ رأسه ، ويستطرد فى نشوة :

ـــ ستكون عملية صيد ممتعة هذه المرة .

ابتسم أحد رجاله خلفه فى سخرية ، وقال وهو يداعب مدفعه الآلى :

ـــ هل سنعلّق رأسه المحنط ، بين رءوس النمور ، فى قاعة الصوائد ؟

وعلى عكس ماتوقّع الرجل ، لم ترق الدعابة لـ (هنتر) ، الذى عقد حاجبيه ، وقال فى صرامة :

ـــ هذا لو أوقعنا به أوّلًا .

أدهشت العبارة رجاله جميعًا ، فغمغم أحدهم فى تردّد :

ـــ سنفعل حتمًا ، فلن يمكنه البقاء وسط الأحراش إلى الأبد ،

وليس بوسعه مغادرة الجزيرة ، و ..

قاطعه (هنتر) في حسم :

ــ اصمت .

ثم عاد يضع منظاره المقرّب على عينيه ، ويتطلّع إلى حيث اختفى (أدهم) ، وقال :

ــ لقد اختفى تمامًا .

وفي هذه المرة ، عندما خفض المنظار عن عينيه ، كانت العينان تتألقان ببريق وحشي ، يشبه كثيرًا بريق عيني نمر مفترس ، اشتمّ رائحة دماء طازجة ، وكان صوته أشبه بفحيح ثعبان سام ، يستعد لمقاتلة (كوبرا) متوحّشة ، وهو يقول :

ــ مع خصم كهذا يكون من الحماقة أن يلتزم المرء بالقواعد .

ورفع يده إلى رجاله ، مستطردًا في حزم :

ــ هيا .. انطلقوا خلفه .

وارتسمت ابتسامة الأفاعي على وجوه الرجال ..

كانوا يعلمون أن المهلة التي منحها زعيمهم لـ (أدهم) لم تبلغ منتصفها بعد ، ولكن هذا لم يكن يعنيهم ..

لقد بدأت المطاردة ..

وبدأت متعتهم ..

* * *

٢ ــ الأحراش ..

استرخى أحد رجال (سكوربيون) في واحد من أبراج الحراسة ، المنتشرة بطول شاطئ الجزيرة ، وراح ينفث دخان سيجارته في تكاسل ، وهو يقول لرفيقه ضخم الجثة ، الذي جلس على حافة سور البرج ، ينظف مدفعه الآلي :

ــ عجبًا !.. لقد برز قرص الشمس كله في الأفق ، دون أن نسمع دوي رصاصة واحدة !

سأله الضخم في لامبالاة :

ــ ولماذا تدوي الرصاصة ؟

ابتسم الأوّل ، وقال في تراخ :

ــ ألم تبلغك الأخبار ؟.. إن مستر (هنتر) يمارس لعبته منذ الفجر ، مع ذلك الأسير ، الذي أحضروه أمس .

غمغم الضخم في لهجة هادئة ، توحي بأن الأمر ليس بالجديد :

ــ آه .. ذلك الوسيم المفتول العضلات .

ثم وضع مدفعه الرشاش إلى جواره ، والتفت إلى زميله ، يسأله في شيء من الاهتمام :

— قل لى : كم استغرق الأسير السابق ، قبل الإيقاع به ؟
عقد الأوّل حاجبيه ، وكأنما يعتصر ذاكرته ، ثم أجاب :
— أظن أن مستر (هنتر) قد أطلق النار على رأسه — حينذاك — بعد ثلاث ساعات من المطاردة .
رفع الضخم حاجبيه ، وقال :
— بالشيطان !.. لقد استغرق وقتا طويلاً .. لاريب أنه كان بارعا ، فى هذا المضمار .
نفث الأوّل دخان سيجارته مرة أخرى ، وقال :
— يقول الزملاء فى القلعة إن هذا الأسير واحد من أقوى رجال المخابرات فى العالم ، وإن ..
قاطعه الضخم فى ازدراء :
— مهما كان شأنه ، سيصطاده مستر (هنتر) ، قبل غروب الشمس .
ابتسم الأوّل فى سخرية ، وقال :
— هل تراهن ؟
أجابه الضخم فى تحدٍّ :
— نعم .. أراهنك بمائتى دولار إن ..
قاطعه الأوّل فجأة ، وهو يعتدل بمقعده ، ويشير إلى نقطة ما على الشاطئ :

— ماهذا ؟
التقط الضخم مدفعه الآلى فى سرعة ، شأن أى محترف ، وهو يستدير إلى حيث يشير زميله ، هاتفًا :
— ماذا هناك ؟
اختطف الأوّل منظاره المقرّب ، ووضعه فوق عينيه ، وهو يجيب :
— هناك .. عند الشاطئ إنه أحد زوارقنا ، ولكنه ليس فى مكانه الصحيح ، وفوق الرمال توجد ..
بتر عبارته بغتة ، وأكملها بصفير استحسان طويل ، قبل أن يهتف :
— بالملائكة السماء !.. من أين هبطت علينا تلك الساحرة ؟
قال الضخم فى غلظة :
— أية ساحرة يارجل ؟.. أفصح .
ناوله زميله المنظار ، وهو يقول فى لهجة رجل مبهور مفتون :
— انظر هناك يارجل .. فوق رمال الشاطئ ، على قيد متر أو مترين من الزورق ، وسترى أروع امرأة رأيتها فى عمرك كله .
التقط منه الضخم المنظار ، ولم يكد يضعه على عينيه حتى هتف :
— أوه !

كان يتطلع مباشرة إلى (سونيا) بجمالها الساحر ، وهى
ترقد على رمال الشاطئ ، فى وضع يوحى بأنها فاقدة الوعى ،
وفتنتها الطاغية تتألق بأروع من ضوء الشمس الساقط فوقها ..
وفى سرعة ، ألقى الضخم المنظار جانبًا ، وقال فى حماس :
ـــ إنها تحتاج إلى إسعاف سريع .
هتف زميله :
ـــ سأصحبك لإنقاذها .
تسابقا فى الهبوط من برج الحراسة ، وانطلقا يعدوان نحو
الشاطئ ، وما إن بلغا موضع (سونيا) ، حتى توقفا
مبهورين ، وقد بدت لهما ، وهما يقفان على بعد خطوات منها ،
أكثر فتنة وسحرًا وإغراءً ، بحيث تستحى منها زهور الأرض
كلها ، فغمغم الضخم مفتونًا :
ـــ كيف وصلت إلى هنا ؟
أجابه زميله :
ـــ ربما هى واحدة من صديقات مستر (هنتر) ، أو ..
ثم هز رأسه فى عنف ، باترًا عبارته ، وقال فى حماس :
ـــ ماذا يعنينا من هذا الآن ؟.. المهم أن نسعفها أولًا
يارجل .
ومال بجسده نحو (سونيا) ، مستطردًا فى خبث :

ـــ إنها تحتاج إلى (قبلة الحياة)(*) .
كان ينحنى نحو شفتى (سونيا) ، فى شوق ، لم يلبث أن
تحوّل إلى انتفاضة دهشة وفزع ، عندما فتحت هذه الأخيرة
عينيها بغتة ، وابتسمت فى سخرية ، قائلة :
ـــ مفاجأة .. أليس كذلك ؟
وقبل أن تتسع عينا الرجل فى دهشة ..
وقبل حتى أن يستوعب ماحدث ، كانت ترفع يدها من
تحت ثوبها ، وتصوّب إليه فوهة مسدسها المزوّد بكاتم
للصوت ..
وتنطلق النار ..
وتراجع الضخم فى ذعر وذهول ، عندما شاهد رفيقه
يسقط على الأرض جثة هامدة ، جاحظة العينين ، وهتف :

(*) قبلة الحياة : اسم دارج ، وعلمى فى الوقت ذاته ، يُطلق على
وسيلة من وسائل التنفس الصناعى ، التى تستخدم ، لإسعاف الغرقى ،
وهى تعتمد على النفخ فى فم المصاب ، ثم الضغط على صدره ، فى خطوات
متتالية متتابعة ، بحيث يتم تنشيط الرئة ، وحثها على الاستجابة ، وأداء
التنفس بصورة طبيعية .



وقبل حتى أن يستوعب ما حدث ، كانت ترفع يدها من تحت ثوبها ، وتصوّب إليه فوهة مسدسها المزوّد بكاتم للصوت ..

— ياللشيطان !.. كان ينبغي أن أدرك هذا ، فمن المستحيل أن يلقى إلينا البحر بغريق ، دون أن تلتهمه أسماك (البيرانا) ، داخل سوار الأمن .

قالت (سونيا) ساخرة ، وهي تدير فوهة المسدس إلى رأسه :

— استنتاج متأخر ياصاح .

وأطلقت النار ..

* * *

تقدّم ثلاثة من رجال (هنتر) في حذر ، داخل الأحراش ، وراحوا يشقّون طريقهم عبرها في بطء ، وأسلحتهم مشهورة أمامهم ، وغمغم أحدهم في توتر :

— لقد سئمت لعبة مستر (هنتر) هذه .. إنها تجعلنا أشبه بكلاب الصيد ، ونحن ننطلق خلف الطريدة ، لإنهاكها ، وتحطيم قدراتها ، قبل أن تقدّمها إليه لقمة سائغة ، على طبق من فضة .

أجابه زميله الثاني في لامبالاة :

— لايعنيني كثيرًا أو قليلاً أن ألعب دور كلب الصيد ، أو حتى كلب حراسة الأغنام ، مادمت أتقاضى أجرًا كبيرًا مقابل هذا .

ثم هزّ كتفيه ، مستطردًا :

ــ أضف إلى هذا أنها لعبة آمنة للغاية ، فنحن نطارد رجلاً أعزل ، وليس من الخطورة أن ..

قاطعه الثالث بغتة :

ــ اصمت يارجل .

ــ التفت إليه زميلاه فى تساؤل ، فأشار فى حذر إلى نقطة قريبة ، تتشابك فيها أغصان الأشجار فى كثافة ، وهمس :

ــ هناك .

أدار الاثنان عيونهما إلى حيث يشير زميلهما ، واتسعت عيونهما فى ظفر ، وقد أدركا مايقصده ، من النظرة الأولى ..

.. فهناك ، خلف الأغصان المتشابكة ، كان الظلّ يبدو واضحًا ..

.. ظل رجل ممشوق القوام ، مفتول العضلات ، يختبئ خلف الأغصان ..

وفى سخرية ، همس أحد الرجال الثلاثة :

ــ ياللسخافة !.. ستنتهى اللعبة هذه المرة ، بأسرع مما توقعنا .

قال الثانى فى ارتياح ، وهو يصوّب فوهة مدفعه إلى حيث الظل :

ــ هذا أفضل ، فليست باللعبة الممتعة .

وأطلق النار نحو ظلّ الرجل ..

رجل المستحيل ..

* * *

انعقد حاجبا (هنتر) فى شدة ، عندما تناهى إلى مسامعه دوى رصاصات المدفع الآلى ، من قلب الأحراش ، وقال فى توتر :

ــ مستحيل !

ثم وضع منظاره فوق عينيه ، وحاول التطلّع به إلى الأحراش ، وتبيّن مايحدث ، قبل أن يدرك عدم جدوى ذلك ، فيزيحه من موضعه ، قائلاً فى حدة :

ــ مستحيل أن يكونوا قد عثروا عليه بهذه السرعة ؟

قال (ألدو) ، مساعده الأوّل ، الذى يقف خلفه ممسكًا أطواق كلاب الصيد الخمسة :

ــ ولِمَ لا .. من المحتمل أنه قد أخطأ الوسيلة .

هزّ (هنتر) رأسه فى شدة ، وقال :

ــ لا .. ليس (أدهم صبرى) .

ثم عقد حاجبيه مرة أخرى ، قبل أن يستطرد فى خفوت :

ــ لقد خدعهم حتمًا .

سأله (ألدو) فى اهتمام :

ـــ أهو داهية إلى هذا الحد ؟

أومأ (هنتر) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـــ بل أكثر مما تتصوَّر .

ثم أخرج واحدة من سجائره ، ذات المبسم الذهبي ، ودسّها بين شفتيه ، وأشعلها بقدّاحة من العاج ، قبل أن يتابع :

ـــ لو لم يكن كذلك لما اخترته خصمًا لى هذه المرة ، فأنا واثق من أنه سيهزم الرجال العشرة ، الذين أرسلتهم خلفه ، وسيخدع حتى كلاب الصيد ، ولو لم يفعل لما استحق أن يبلغ المرحلة الأخيرة ، عندما أهبط بنفسي خلفه ؛ لإنهاء اللعبة .. فى تلك المرحلة الأخيرة يكون الصراع بيني وبينه مباشرةً ، بعد أن أنهكه صراع يوم بطوله ، وسيكون من السهل علىَّ أن أعثر عليه وسط الأحراش ، وعندئذ سأصوِّب بندقيتي إلى رأسه ، و ...

فرقع سُبابته وإبهامه ، مؤديًا المعنى المنشود ، فابتسم (ألدو) ، وقال :

ـــ كالمعتاد .

نفث (هنتر) دخان سيجارته ، وابتسم قائلًا فى هدوء :

ـــ نعم .. كالمعتاد .

وعاد يرفع منظاره إلى عينيه ، مستطردًا :

ـــ كل ماعلينا هو أن ننتظر ..

ومضى يراقب الأحراش فى صمت ..

* * *

أطلق رجال (هنتر) الثلاثة صرخة ظفر عالية ، عندما رأوا رصاصاتهم تخترق الأغصان الكثيفة ، وتصيب ذلك الظلّ البشرى ، وتلقى به بعيدًا ، واندفعوا فى انفعال إلى حيث الهدف ، ولم يكد أوَّلهم يقتحم منطقة الإصابة ، حتى هتف فى سخط :

ـــ اللعنة ! .

أدرك رفيقاه مايعنيه بهتافه ، عندما لحقا به بعد ثانية واحدة ، ووقع بصراهما على ذلك القميص المحشو بالأعشاب ، على هيئة رجل ، والذى كانت تستقر فوقه كومة من الأغصان ، فى شكل رأس بشرى ، وقد اخترقت رصاصاتهم القميص والأغصان ، فهتف أحدهم فى حنق :

ـــ لقد كانت خدعة .

وغمغم الآخر :

ـــ ياللثعلب !

ثم رفع رأسه مستطردًا :

ـــ ولكن أين ..؟

قبل أن يتمّ تساؤله ، أو حتى يفصح عنه ، كان الجواب يهبط من أعلى الشجرة القريبة على رأسه ، ورأس زميليه ..

فجأة وجد الثلاثة (أدهم) أمامهم ، واجسامته الساخرة فى

وجوههم ، وقبضته الفولاذية فى فكوكهم وأنوفهم ..

اهرس أنف الأوّل ..

وتحطّم فك الثانى ..

وانكسر عنق الثالث ..

ومن بين سحابة الدموع والدم ، رأى الأوّل (أدهم صبرى) ، بصدره العارى القوى ، وعضلاته المفتولة ، ونظراته الصارمة يتحرك نحوه ، وهو يقول :

ـ أتسمح لى باستعارة مدفعك الآلى أيها الوغد ؟

أخفى الرجل وجهه بذراعه اليسرى ، خشية أن تهوى عليه قبضة (أدهم) مرة ثانية ، فتحطّم البقية الباقية منه ، وهتف :

ـ لن يمكنك هذا .

أمسك (أدهم) ماسورة المدفع ، وهو يقول :

ـ هل تراهن ؟

ولكنه لم يكد يجذب المدفع ، حتى انتبه فجأة إلى أن مقبض المدفع يتصل بمعصم الرجل ، عن طريق سلسلة معدنية ، تمتد من المقبض ، وتنتهى داخل سوار سميك ، يحيط بمعصم الرجل ، الذى هتف فى رعب :

ـ لم أقصد أننى سأقاومك ، ولكنه مستر (هنتر) ، الذى اتخذ كل الاحتياطات اللازمة ، لمنعك من الحصول على أية

أسلحة ، طوال فترة المطاردة ، فهذا المدفع مزوّد بدائرة تفجير إليكترونية ، بحيث ينسف نفسه نسفًا ، إذا ماتمّ انتزاعه من معصم أحدنا ، أو حتى انتزاع خزانة الرصاص منه .

ترك (أدهم) ماسورة المدفع ، واعتدل يدرس الموقف من جديد ، فى ضوء مالديه من معلومات ..

إن (هنتر) هذا داهية بالفعل ..

لقد رتّب الأمر بحيث يظلّ (أدهم) أعزل طيلة المطاردة ، حتى لو أوقع أحدًا من رجال (سكوربيون) ..

إن عليه أن يقاتل حتى النهاية بلا سلاح ..

وفجأة قطع أفكاره حفيف أوراق شجر ، يأتى من أمامه مباشرة ، وعلى بعد أمتار قليلة ، فرفع عينيه فى سرعة إلى مصدر الصوت ، ووقع بصره على هذا الخطر الجديد ..

كان هناك رجل رابع ، من رجال (هنتر) ، يقف بين الأشجار ، مصوّبًا فوهة مدفعه الآلى إليه ، وسبّابته تقفز نحو الزناد ..

وردّدت الأحراش دوى الرصاصات ..

وسالت الدماء فى قلب (تيرور) ..

* * *

٣ ــ الفريسة ..

لو أن للحياة أسلوبًا واحدًا ، تدير به الأمور فى كل زمان ومكان ، لما كان هناك تاريخ غزير ، يحتشد بالأحداث والمواقف الجسام ، ويعجز القارئ المتفحّص عن استيعابه فى سنوات طوال ..

ولو أن للبشر قدرات متقاربة محدودة ، لما اتسعت عيوننا يومًا فى انبهار وإكبار ، ونحن نشاهد بطلاً أوليمبيًا يحطّم رقمًا قياسيًا جديدًا ، فى العدو ، أو اجتياز الحواجز ، أو السباحة .. إلخ ..

ولو أن (أدهم صبرى) رجلا عاديًا ، لما كان هناك داع لاستمرار سرد هذه الرواية ، بعد مصرع البطل ..

ولكن من حسن الحظ أنه ليس كذلك ..

لقد كان رجل (سكوربيون) محترفًا ، يصوّب مدفعه الآلى إلى صدر (أدهم صبرى) تمامًا ، ويده تضغط الزناد فى سرعة ، حتى لقد بدت العملية أشبه بلعبة صيد بسيطة ، من تلك التى نشاهدها كثيرًا ، فى مدن الملاهى ..

ولكن مابين ضغطة الزناد وانطلاق الرصاصة يحدث الكثير ..

خاصة مع رجل مثل (أدهم) ..

لقد التقط عقل (أدهم) المدرّب المشهد ، وتحرّك فى سرعة خرافية كالمعتاد ، ودرس الموقف ، واتخذ القرار المناسب ، ثم أبرق إلى الجسم والعضلات لتنفيذه ..

وبسرعة البرق ، امتدّت يد (أدهم) تنتزع رجل (سكوربيون) الملقى أمامه ، وصنع من جسده درعًا يقيه الرصاصات ، فى نفس الوقت الذى أمسك فيه مدفع الرجل الآلى ، وأطلق منه النار على الرجل الآخر ، دون أن ينتزعه من سوار التفجير الإليكترونى ..

وانطلقت رصاصات (أدهم) ورجل (سكوربيون) ، فى لحظة واحدة تقريبًا ..

وأصابت رصاصات (أدهم) هدفها ، وانطلقت صرختا رجلين من رجال (سكوربيون) ، لقيا مصرعهما فى آن واحد ..

وعلى الرغم من انتصاره ونجاته ، لم يكن (أدهم) فخورًا أو سعيدًا ، وهو يترك جثة الرجل تسقط أرضًا ، بعد أن تلقّت عنه رصاصات مدفع زميله ..

إن (أدهم) طراز نادر ، من بين العاملين فى شعب العمليات الخارجية ، بكل أنظمة المخابرات فى العالم أجمع ..

طراز يمقت القتل وإراقة الدماء ، إلا دفاعًا عن النفس ، وللضرورة القصوى ..

وهم اضطروه إلى هذا ..

ولكن حتى هذا لم يكن هناك وقت للتفكير فيه ، ف (أدهم) يعلم أن صوت الرصاصات سيجتذب باقى رجال (سكوربيون) حتمًا إلى المكان ، وعليه أن يتحرَّك فى سرعة ، حتى لايوقع به ذلك الوغد السادى (هنتر) ..

وبنظرة سريعة ، درس (أدهم) الموقف والمكان ، ثم قال فى خفوت :

— فليكن .

وراح يعمل فى سرعة ..

* * *

لأوَّل مرة ، منذ بدأت عملية الصيد ، تسلَّل شىء من القلق إلى نفس (ألدو) ، وهو يسأل زعيمه :

— ترى ما الذى يعنيه إطلاق النار الثانى هذا ؟

نفث (هنتر) دخان سيجارته فى هدوء ، وقال :

— يعنى ببساطة أن (أدهم صبرى) هذا لم يخيِّب أملى فيه ، وأنه نجح فى خداع وهزيمة رجالنا .

حدَّق (ألدو) فى وجه زعيمه فى دهشة ، وقال :

— وهل يُسعدك هذا ياسيدى ؟

هزَّ (هنتر) كتفيه فى هدوء ، وقال :

— مادام قد هزمهم ، فهم يستحقون هذا .

ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة خبيثة ، وهو يستطرد :

— وهذا يثبت فى الوقت ذاته أنه خصم مناسب .

لم يرق هذا المنطق لـ (ألدو) ، فعقد حاجبيه فى ضيق ، وقال :

— وهل سننتظر حتى يَهزمهم جميعًا ؟

هزَّ (هنتر) رأسه نفيًا ، وقال :

— بل سننتظر حتى ينعكس الأمر ، وتدور الشمس نصف دورتها ، وتصبح فى مواجهة عينيه هو ، وبعدها ..

واتسعت ابتسامته كثيرًا ، وغمرتها موجة ضخمة من الشراسة ، وهو يستطرد :

— يبدأ (هنتر) جولته الأخيرة .

* * *

شقَّ اثنان من رجال (هنتر) طريقهما فى صعوبة ، وسط الأغصان المتشابكة ، حتى بلغا ذلك الموقع ، الذى ارتفع منه دوى الرصاصات ، وعقد أحدهما حاجبيه فى توتر ، وهو ينقل بصره بين جثتى زميليه ، قائلاً فى حدة :

— اللعنة !.. لقد تسبَّب هذا الشيطان فى مصرع زميلينا .
فحصهما الآخر فى سرعة ، وقال :
— يبدو أن كلًا منهما قد أطلق النار على الآخر .
ثم تلفَّت حوله فى حذر ، مستطردًا :

— ولكن أين الآخرون ؟.. إن (فيليب) لم يكن وحده .
تناهت إلى مسامعهما ، فى تلك اللحظة ، همهمة خافتة ، جعلتهما يلتفتان إلى مصدرها فى سرعة ، ويشهران سلاحيهما ، قبل أن يقول أحدهما للآخر فى لهجة تشفّ عن أعصابه الثائرة :

— ذلك الصوت يأتى من هناك .. من خلف تلك الشجرة .
ثم أشار إليه ، وهو يتقدَّم نحو الشجرة ، مستطردًا :
— سنقوم بحركة التفاف .. اذهب أنت من اليسار ، وسأذهب من اليمين .
تحركا فى سرعة ، ليلتفا حول الشجرة ، ثم هتف أحدهما :

— اللعنة !.. إنهما رجلانا .
وضع مدفعه جانبًا ، وأسرع يحل وثاق الرجلين ، اللذين قيَّدهما فرع شجرة مرن إلى جذعها ، وهو يسألهما :
— من فعل بكما هذا ؟.. أهو ذلك الرجل ؟
لم يكن باستطاعتهما إجابته ، بأفواههما المكمَّمة ، فقال له زميله :

— دعنى أنتزع كمامتيهما أوّلًا يارجل .
وانتزع الكمامة عن فم أحدهما ، وهو يقول :
— حسنًا .. حسنًا .. لاداعى للعصبية .. سأنتزع كمامتك أوّلًا ، وبعدها أخبرنى ماتريد .
ولكنه لم يكد ينتزع الكمامة عن الرجل ، حتى شعر أنه يجذب معها حبلًا طويلًا من العشب ، كان يثبتها من الخلف إلى جذع الشجرة ، وسمع زميله المقيَّد إليها يصرخ فى ذعر :
— لم يكن ينبغى أن تنتزع الكمامة .
وفى نفس اللحظة هوى فرع سميك من أعلى الشجرة ، كان حبل الأعشاب يمنعه من السقوط ، وارتطم برأس الرجلين الجديدين فى عنف ، فارتطمت جباههما بجذع الشجرة ، وسقطا عند قدمى زميليهما المقيَّدين فاقدى الوعى ..
وهنا برز (أدهم) من خلف جذع شجرة قريبة فى هدوء ، وهو يقول فى سخرية :
— يبدو أنه هناك أنواع من الشراك الخداعية ستظلّ صالحة ، لكل زمان ومكان .
هتف أحد الرجلين المقيَّدين فى حنق :
— لعنة الشيطان عليك .
رمقه (أدهم) بنظرة ساخرة ، ثم انتزع حبل العشب ،



لم يكن باستطاعتهما إجابته ، بأفواههما المكمَّمة ، فقال له زميله :

ــ دعني أنزع كامتيهما أوّلًا يا رجل ..

وراح يقيِّد به الرجلين الفاقدى الوعى ، وهو يقول :

ــ الشيطان أضعف مما تتصوَّر أيها الوغد ، فهو لايمتلك القدرة على رمى البشر باللعنات ، بل هو مخلوق من مخلوقات الله (عزّ وجلّ) ، لايملك سوى أن يرمى حباله على ضعاف النفوس مثلك ، فيغريهم بالانضمام إلى حزبه ، الذى سيكون وقودًا للجحيم فى النهاية .

قال الرجل فى غضب :

ــ احتفظ بفلسفتك الدينية هذه لنفسك يارجل .

اعتدل (أدهم) ، بعد أن انتهى من إحكام وثاق الرجلين الآخرين ، وقال فى سخرية :

ــ وهل ظننتنى أسعى لمشاركتك إياها ؟

ثم أمسك عنق الرجل بحركة مباغتة سريعة ، وهو يستطرد فى صرامة مفاجئة :

ــ والآن ستخبرنى بما أريد .

كان لذلك التحوّل المباغت أثره الرهيب على الرجل ، الذى تجمَّدت الدماء فى عروقه ، وشحب وجهه فى شدة ، وتلعثمت الكلمات فى حلقه ، وهو يقول :

ــ وماذا تريد ؟

أجابه (أدهم) بصوته القوى :

— بعض الأجوبة فحسب يارجل .. أريد معرفة عددكم داخل هذه الأحراش ، ونظام الأمن المتبع فى لعبة الصيد هذه ، وكل التفاصيل الأخرى .

ازدرد الرجل لعابه ، واستجمع أكبر قدر من شجاعته ، وهو يقول فى توتر :

— لن أخبرك حرفًا واحدًا .

ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :

— فليكن .. هذا حقك ، ولكن هل تعلم أننى قد توصلت إلى الوسيلة الوحيدة ؛ للحصول على سلاح ، مع وجود تلك الأساور الإليكترونية المتفجرة .؟

لم يجد الرجل رابطًا بين حديث (أدهم) وسؤاله ، فتطلع إلى هذا الأخير فى حيرة ، حتى تابع (أدهم) فى هدوء :

— لو أننى جذبت المدفع ، سيشعل هذا السوار ، فينفجر مع المدفع ، وأخسر أنا الاثنين معًا ، ولقد فحصت السوار نفسه ، ووجدت أنه محكم حول المعصم ، بحيث يصعب انتزاعه منه ، إذن فالحل الوحيد هو ..

مال بوجهه نحو الرجل ، وتطلع إلى عينيه مباشرة ، وهو يستطرد فى صوت عميق ساخر :

— بتر المعصم :

اتسعت عينا الرجل فى رعب ، ودارتا فى محجريهما ، وهو يحدّق فى وجه (أدهم) ، الذى تراجع مستطردًا فى هدوء مخيف :

— تُرى ماذا تفعل أنت ، لو كنت مكانى ؟ .. هل تتردَّد فى بتر معصم رجل ، للحصول على سلاح ، وإنقاذ حياتك ؟

قفز الذعر فى قلب الرجل إلى وجهه وأطرافه ، فراح يرتجف فى قوة ، وهو يهتف فى شحوب مقتاه :

— الرحمة يارجل !!.. الرحمة !

هزَّ (أدهم) كتفيه فى لامبالاة ، وقال :

— حتى الرحمة لها ثمنها يارجل .. هيا .. كلى آذان صاغية .

اندفع الرجل يقول فى رعب :

— سأجيب عن كل أسئلتك .. أقسم لك .. إننا عشرة رجال ، ولقد هزمت ستة منا حتى الآن ، وبقى أربعة .. (مارك) و (سميث) ، و (ستيف) ، و (أونو) ، وكلنا داخل شريحة من الجزيرة ، يحيط بها سور من الأسلاك الشائكة المكهربة من الجانبين ، وهذه الشريحة تمتد من شاطئ المحيط ، وحتى تلك الربوة ، التى يتمركز عندها مستر (هنتر) ، بحيث لاتملك الطريدة فرصة الدوران حول الهدف ، وداخل شريحة الصيد هذه توجد عدة فخاخ ، وضعها مستر (هنتر) ؛ للإيقاع

بفريسته ، ولاتوجد وسيلة للنجاة من كل هذا ، سوى قتل كل رجل فى الجزيرة ، وهذا مستحيل تمامًا .

استمع إليه (أدهم) فى اهتمام ، ثم قال فى بطء :

ـ من يدرى ؟.. ربما كانت هناك وسائل أخرى .

ثم أعاد الكمامة إلى فم الرجل ، مضيفًا فى حزم :

ـ أحسنت يارجل .. ستحتفظ بعصمك .

وأدار ظهره للرجل ، الذى لم يصدّق أنه نجا ، وانطلق وسط الأحراش ، مستطردًا :

ـ وأبلغ (هنتر) أنه لن يربح لعبته هذه المرة .

قالها واندفع يعبر الأحراش فى سرعة ، وعقله يعمل كعشرة من أجهزة الكمبيوتر ، اندمجت بعضها ببعض ..

لقد أعدّ (هنتر) لكل شىء عدّته ..

أعدّ ساحة اللعب ، كأى لاعب محترف ..

وعلى (أدهم) أن يتصدّى لكل هذا ..

والعجيب أن (أدهم) لم يكن قد استعاد ذاكرته بعد ..

لم يكن يدرك قدراته الحقيقية ..

لم يكن يذكر خبراته السابقة ..

ولكن غريزته كانت تعمل على مايرام ..

وفى أعماقه ، راحت هذه الغريزة تدرس شخصية (هنتر) ..

إن أمثال هذا السادى يتصوّرون دائمًا أنهم الأقوى ، ويحرصون

على دراسة وفهم الطباع البشرية ، بحيث لايتركون أمام خصومهم فرصة للفكاك أو الفرار ..

أو النصر ..

و (أدهم) يدرك الوسيلة المثلى ، للتعامل مع هؤلاء ..

يُدركها دون أن يذكر أين تعلّمها ..

وفى أعماق ذاكرته ، تحرّك جزء مظلم ، وكشف عن فجوة يحيط بها الضباب ، ينبعث منها صوت هادئ وقور ، يقول :

ـ واجه خصومك دائمًا بما لايتوقعونه ، وجابههم من حيث لاينتظرونك ، وفى هذا نصف النصر .

لم يذكر من علّمه هذا ..

من لقّنه إياه ..

ولكن شيئًا ما فى أعماقه أنبأه بأنه تعلّم هذا ، وهو بعد طفل صغير ، فى السابعة أو التاسعة من عمره ..

حاول أن يعتصر عقله ، ليتذكّر ، ولكن هذا لم يورثه إلا صداعًا ثقيلاً كالمعتاد ، و ..

وفجأة تهاوت الأرض تحت قدميه ، وأدرك فى اللحظة الأخيرة أنه قد سقط فى واحد من الفخاخ ، التى صنعها (هنتر) فى منطقة الصيد ، وعندما خفض عينيه فى سرعة ، رأى جسده يهوى نحو أرضية مكتظة بأوتاد خشبية حادة الأطراف ..

أى نحو الموت ..

* * *

٤ — من فخ إلى فخ ..

صبّ (هنتر) لنفسه كأسًا من الشراب ، وراح يرتشفه فى بطء ، وهو يجلس على مقعد وثير ، أسفل مظلة واقية كبيرة ، فوق تلك الربوة العالية ، على قمة (تيرور) ، وقال بابتسامة جذلة :

— كم يمضى الوقت فى بطء .

كان قوله يتناقض مع لهجته ، مما زاد من حيرة (ألدو) ، الذى اكتفى هذه المرة بهزّ كتفيه ، وهو يقول :

— كم تتوقّع له أن يقاوم يا سيدّى ؟

ارتشف (هنتر) رشفة كبيرة من كأسه ، قبل أن يجيب :

— حتى آخر رمق .

ثم أغمض عينيه ، مستطردًا فى نشوة :

— وهذا مايجعل عملية الصيد ممتعة .

غمغم (ألدو) :

— إنها تختلف عن كل مرة بالتأكيد .

لم يكد يتمّ عبارته ، حتى انبعث أزيز جهاز اللاسلكى فى حزامه ، فالتقطه قائلًا :

— هنا (ألدو) ، من المتحدّث ؟

استمع إلى محدّثه فى اهتمام ، عبر مسماع الجهاز ، ثم قال :

— انتظر .

والتفت إلى زعيمه ، يقول :

— يبدو أننا نواجه متاعب أخرى ، على الجزيرة ياسيّدى .

لم يرق لـ (هنتر) أن يفسد شيئًا ما متعته ، فقال فى ضيق :

— أى نوع من المتاعب ؟

أجابه (ألدو) :

— لقد تلقى رجالنا رسالة لاسلكية ، توحى بأن عميلًا من (الموساد) يطلب دخول (تيرور) .

أومأ (هنتر) برأسه إيجابًا ، وقال بنفاد صبر :

— أعلم هذا .. ماذا تمّ فى هذا الشأن ؟

أجاب (ألدو) :

— لقد أرسلنا زورقًا ؛ لالتقاط ذلك العميل من طائرة مائية ، ولكن الزورق لم يعد إلى مرساه ، ولم يرسل أية رسائل أخرى ، فخرجت فرقة للبحث عنه ، وتمّ العثور عليه خاليًا ، عند النقطة رقم ستة عشر ، وإلى جواره جثتا (بابلو) و (بنيتو) ، حارسى برج المراقبة هناك ، مما يوحى بأن الأمر كان مجرّد خدعة ، ليتسلّل شخص ما إلى الجزيرة .

عقد (هنتر) حاجبيه لحظات فى صمت ، ثم لم يلبث أن رفع عينيه ، قائلًا :

ـــ إنها (سونيا) حتمًا .

ثم رفع سبّابته إلى (ألدو) ، مستطردًا فى لهجة آمرة :

ـــ مر الرجال بمضاعفة الحراسة حول القلعة ، وتمشيط الجزيرة ، بحثًا عن امرأة صارخة الجمال ، ولكن دعهم يتخذون حذرهم ، فهى شديدة الخطورة فى الوقت ذاته .

وابتسم ابتسامة خبيثة ، وهو يضيف :

ـــ ولكن مرهم ألا يقتلوها ، فأنا أريدها حية ، إذ أنه من الحماقة قتل ملكة جمال عالم المخابرات ، دون الإفادة من خبراتها .

أسرع (ألدو) بنقل أوامر زعيمه إلى رجال (سكوربيون) ، ثم سأل (هنتر) :

ـــ وما الذى أتى بها إلى هنا ؟

أشار (هنتر) إلى الأحراش الممتدة أمامه ، وقال :

ـــ إنها زوجة طريدتنا .

ثم ابتسم فى سخرية ، مستطردًا :

ـــ وملاكه الحارس .

مع آخر حروف كلماته ، انطلق أزيز منتظم من لوحة

كبيرة ، وأضاء فيها مصباح أحمر صغير ، فهتف (ألدو) فى ظفر :

ـــ لقد سقط المصرى فى الفخ رقم سبعة .

انعقد حاجبا (هنتر) ، وقال :

ـــ سقط فيه ؟!

ثم تطلّع إلى الأحراش ، مستطردًا فى خفوت :

ـــ يبدو أنك ستحطّم ثقتى فيك يامستر (أدهم) .. ستحطّمها إلى الأبد .

واختلطت كلماته بأزيز اللوحة الكبيرة ، وضوء مصباح الفخ رقم سبعة ..

فخ الموت ..

* * *

لم ينتبه (أدهم) إلى الفخ بالفعل ، إلا بعد أن سقط فيه ..

ولكن هذا لايعنى أن الفخ سيهزمه ..

لقد انتبه إليه فى لحظة متأخرة بالفعل ، إلا أن هذا لم يمنع عقله من أن يعمل بسرعة خرافية كالمعتاد ، فتحركت يده فى سرعة ، وأحاطت أصابعه بالأعشاب الطويلة عند حافة الفخ و..

وتوقف جسد (أدهم) ، قبل أن تخترقه الأوتاد الخشبية

ولكن الأعشاب لم تكن لتحتمل طويلًا ..

وبكل المرونة والخفة ، انثنى جسد (أدهم) ، ثم انفرد كقوس قوى ، وتخلّت أصابعه عن الأعشاب الطويلة ، وبعدها استقرّت قدماه على حافة الفخ ، واعتدل جسده ، وهو يقول لنفسه :

ــ لاتسعد كثيرًا لنجاتك هذه المرة يا (أميجو) ، بل ينبغى أن تتعلّم الحذر ، وإلا قضى عليك فخ ثان .

تلفّت حوله بنظرة فاحصة ، ثم راح يدرس خطته ، التى أعدّها عقله فى سرعة كعادته ..

إن منطقة الصيد ، التى اقتطعها (هنتر) من الجزيرة ، تبدأ من شاطئ الجزيرة فى الشمال ، إلى الربوة التى ترتفع عندها القلعة فى الجنوب ، وهذا يعنى أن حاجزى الأسلاك الشائكة المكهربة يمتدّان شرقًا وغربًا ، ومادام (هنتر) مطمئنًا إلى أن طريدته ستنحصر حتمًا داخل تلك الشريحة ، فالوسيلة المثلى لتحطيم خطته هى الخروج منها ، والالتفاف حوله ، من حيث لاينتظر هجومًا ..

ولكن من أية نقطة ينبغى العمل ، للخروج من هذا السجن الجهنمى ؟ ..

إنها ليست البحر حتمًا ، مع وجود تلك الأسماك القاتلة فى

أعماقه ، وهذا لايترك سوى الأسلاك المكهربة ، و ..

وبرزت الفكرة فى رأسه بغتة ..

ومضت كمصباح قوى ، أنار عقله دفعة واحدة ، وانتقل إلى عينيه وشفتيه ، وهو يبتسم ابتسامته الساخرة الشهيرة ، ويقول فى هدوء :

ــ نعم .. هذه هى الوسيلة المثلى .

وانطلق نحو الهدف ..

* * *

تسلّلت (سونيا) فى حذر ، عبر الأعشاب الطويلة ، حتى صارت على قيد أمتار قليلة من قلعة (تيرور) الشهيرة ، وأمسكت مسدسها فى قوة ، وهى تقول لنفسها فى توتر :

ــ هاقد بلغت قلعة العقارب يا (سونيا) ، والآن ماذا ستفعلين لدخولها ؟

استعرض عقلها عشرات الطرق والوسائل فى سرعة ، إلا أنها بدت كلها عسيرة وغير منطقية ، فلم تلبث أن قالت فى حنق :

ــ كيف كان (أدهم) يفعلها إذن ؟[*]

(*) راجع قصة (أرض الأهوال) .. المغامرة رقم (١٣)

لم تكد تذكر اسم (أدهم) ، حتى عاودها ذلك القلق ، الذى أصابها ، عندما سمعت دوى الرصاصات يتردَّد ، فى الأحراش القريبة ، فغمغمت :

ـــ أتعشم أن تكون أنت (أدهم) نفسه ، الذى عرفته طيلة عمرى ، والذى تعجز حتى شياطين الجحيم عن هزيمته ، والذى ..

انبعث من خلفها بغتة صوت ساخر يقول :

ـــ هاهى ذى دميتنا الجميلة يارجال .

دارت حول نفسها فى سرعة ، ووقع بصرها على ذلك الرجل القوى الصدر ، الذى يتطلَّع إليها فى سخرية ، ويحمل مدفعه الرشاش ، مستطردًا :

ـــ يالها من دمية ساحرة ! ..أراهنكم أنها من النوع المتحدِّث ، الذى يقول (ماما) و (بابا) .

هتفت (سونيا) فى غضب :

ـــ ويطلق النار .

قرنت قولها برفع فوهة مسدَّسها فى وجه الرجل ..

وأطلقت النار ..

وتفجَّر الموقف كله دفعة واحدة ، وفى مشهد واحد تقريبًا ..

أصابت الرصاصات الرجل القوى الصدر ، وانتزعته من الأرض ، وألقت به على ظهره جثة هامدة ، فارتفعت فوهات مدافع زملائه نحو (سونيا) ، وصرخ أحدهم :

ـــ الزعيم يريدها على قيد الحياة .

هتفت (سونيا) :

ـــ أشكرك أن أوضحت .

وأطلقت رصاصة من مسدَّسها على رأس رجل آخر ..

وانقضَّ عليها أحد الرجال من الخلف ، وأحاط ذراعيها بساعديه القويين ، وهو يقول فى حدة :

ـــ يبدو أنها ليست مجرَّد دمية جميلة يارجال ..إنها نمرة مفترسة .

قاومته (سونيا) فى شراسة ، وانطلقت رصاصات مسدَّسها فى أرض (تيرور) ، حتى فرغت خزانة المسدَّس ، فراحت تصرخ :

ـــ أيها الأوغاد ..أيها الوحوش .

شدَّد الرجل ضغط ساعديه على جسدها ، وهو يقول ساخرًا :

ـــ كفى أيتها المتوحشة ..لن يمكنك مقاومة دستة من الرجال طويلًا .



ثم هوى آخر على مؤخرة عنقها بضربة فنية ، جعلتها تُطلق شهقة ألم ،
ثم تسقط بين ذراعى الرجل فاقدة الوعى ..

فوجئ بمقاومتها تتراخى فجأة ، وبلهجتها تذوب فى نهر من الهدوء المباغت ، وهى تقول :

ـ صدقت .. لن يمكننى هذا .

دفع تراخيها المفاجئ الرجل إلى تخفيف ضغط ساعديه حولها ، على نحو غريزى ، وهو يقول :

ـ هكذا تكون لغة العقلاء .

انفلتت من بين ساعديه بغتة ، وهى تقول :

ـ ومن قال إننى أحب هذه اللغة ؟

وبسرعة ومرونة ، ركلت مدفعًا آليًا من يد صاحبه ، وقفزت لتلتقطه من الهواء ، ولكن الرجل ، الذى انفلتت من بين ذراعيه ، انقضّ عليها مرة أخرى ، وأحاط جسدها بساعديه كالسابق ، وهو يقول فى غلظة :

ـ أيتها الأفعى اللعينة !

ثم هوى آخر على مؤخرة عنقها بضربة فنية ، جعلتها تُطلق شهقة ألم ، ثم تسقط بين ذراعى الرجل فاقدة الوعى ..

لقد ربحت (تيرور) هذه الجولة ..

مع (سونيا) على الأقل ..

* * *

أغلق (هنتر) جهاز اللاسلكى ، ووضعه إلى جواره ،

والتفت إلى (ألدو) ، قائلًا فى هدوء شديد :

ـــ لم يحطَّم (أدهم) هذا أمل فيه ، كما كنت أتمنى ، لقد هزم ستة من رجالنا ، ونجا من الفخ رقم سبعة .

عقد (ألدو) حاجبيه فى توتر ، وهو يقول :

ـــ مازال لدينا أربعة رجال .

هزَّ (هنتر) رأسه نفيًا ، وقال :

ـــ لقد أمرتهم جميعًا بالعودة ، وإخلاء الأحراش .

هتف (ألدو) فى دهشة :

ـــ ولكن لماذا ؟

ابتسم (هنتر) ، وقال :

ـــ لم أعد أحتمل الانتظار ياعزيزى (ألدو) .. إن أدهم هذا يتجاوز كل العقبات فى يسر وسهولة ، يغريان صيادًا ماهرًا مثلى بالسعى خلفه .

وبرقت عيناه فى نشوة ، وهو يلوِّح بكفه ، مستطردًا :

ـــ سيكون أروع صيد ظفرت به فى حياتى كلها .

أتاه صوت أنثوى عصبى ، يقول :

ـــ هذا لو لم يظفر هو بك مسبقًا .

التفت فى هدوء إلى حيث تجلس (سونيا جراهام) ، وقد تمّ تقييد معصميها ـــ فى إحكام ـــ إلى مسندى المقعد ، وابتسم قائلًا :

ـــ رائع .. يبدو أن ضيفتنا قد استعادت وعيها فى سرعة .

قالت فى حدة :

ـــ تقصد أسيرتك .

هزَّ كتفيه فى لامبالاة ، قائلًا :

ـــ فليكن .. لن يشكّل هذا فارقًا ، بالنسبة إلىّ .

مضت لحظة من الصمت ، قبل أن تسأله فى اهتمام :

ـــ أين (أدهم) ؟

أشار إلى الأحراش ، وقال فى هدوء :

ـــ هناك .

ثم أضاف بابتسامة خبيثة :

ـــ تحت سيطرتنا تمامًا .

ابتسمت فى سخرية ، وهى تقول :

ـــ هذا مايتصوَّره الجميع ، عندما يتعاملون مع (أدهم) ، ثم يكتشفون ـــ بعد فوات الأوان ـــ أنهم هم تحت سيطرته .

عاد يهزّ كتفيه فى لامبالاة ، وهو يقول :

ـــ ربّما .

ران عليهما الصمت لحظات أخرى ، ثم قالت (سونيا) فى دلال ، وهى تبتسم ابتسامة جذابة ، شديدة الإغراء :

ـــ هل ستتركنى مقيَّدة هكذا ؟

أجابها فى هدوء :

— نعم .. سأتركك هكذا ياعزيزتى (سونيا) .

وابتسم فى دهاء ، مستطردًا :

— فلست ممن يمكنك إفقادهم عقولهم وخلب لبهم ، بجمالك الساحر وفتنتك الطاغية ياأميرتى .

هتفت فى غضب :

— أيها الوغد .

قهقه ضاحكًا ، ثم قال فى هدوء :

— أتعلمين أنك تدهشيننى كثيرًا ياعزيزتى (سونيا) ؟ .. سجلاتنا هنا تقول بأنك العدو اللدود لـ (أدهم صبرى) ، منذ بدأت مواجهاتكما ، فى عالم المخابرات ، ولكنك ظهرت فجأة للبحث عنه ، وتزوّجته ، وتقاتلين الآن إلى جواره ، ومن أجله ، فكيف انقلبت مشاعرك رأسًا على عقب هكذا ؟

قالت فى برود :

— لن يمكنك أبدًا فهم مشاعر النساء .

أومأ برأسه موافقًا ، وقال :

— هذا صحيح .

ثم أشار إلى الأحراش مرة أخرى ، وأضاف :

— ولكننى أفهم مشاعر الرجال ، أمثال (أدهم) .

قالت ساخرة :

— هل تتصوَّر أنك قادر على فهم (أدهم) ؟

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

— قلت لك ياعزيزتى أنه تحت سيطرتنا تمامًا .

واسترخى فى مقعده ، وهو يتطلَّع إلى الأحراش ، متابعًا :

— لقد أطلقت صديقنا (أدهم) وسط أحراش (تيرور) ، وأخبرته أنها عملية صيد ، وأننا سننطلق خلفه لاصطياده والإيقاع به .

قالت فى حدة :

— لن توقع به أبدًا .

ابتسم فى سخرية ، وتابع وكأنه لم يسمع تعليقها :

— ولقد نجح (أدهم) — حتى الآن — فى هزيمة كل من اعترض طريقه من رجالنا ، ونجا من فخ قاتل ، وصنع كل ذلك بمهارة فائقة ، وعلى نحو يشفّ عن براعته وحنكته .

قالت فى ارتياح :

— ألم أقل لك ؟

مرة أخرى تجاهلها تمامًا ، وهو يستطرد :

— ما الذى يمكن أن يفعله صديقنا (أدهم) ، بكل ذكائه ومهاراته ، عندما يدرك طبيعة الموقف المحيط به تمامًا ، خاصة

بعد أن أجبر أحد رجالنا على أن يدلى له بكل مالديه ، حول وسائل الأمن ، وعلم أنه داخل شريحة منتقاة من الجزيرة ، يحدها المحيط بأسماك (البيرانا) المتوحشة شمالًا ، والقلعة جنوبًا ، وحاجزان من الأسلاك الشائكة المكهربة ، فى الشرق والغرب ؟

كادت تجيب السؤال فى تلقائية ، ولكنها أمسكت لسانها فى اللحظة الأخيرة ، وهزّت كتفيها ، دون أن تنبس ببنت شفة ، فابتسم (هنتر) ، وقال :

ـ سأخبرك أنا ما الذى يفعله رجل مثله .

ولوّح بيده نحو الأحراش ، قائلًا فى هدوء :

ـ سيحاول أن يفعل مالا أتوقعه ، وهو أن يخرج من منطقة الصيد ، ويدور حولى ، ويباغتنى من الخلف .

شعرت (سونيا) بالتوتر ؛ لأن هذه هى نفس الفكرة ، التى راودتها ؛ لخبرتها السابقة فى التعامل مع (أدهم) ، وارتجف قلبها بين ضلوعها ، عندما ارتسمت على شفتى (هنتر) ابتسامة شرسة ، وهو يقول :

ـ وعندما يفعل هذا لن يدرك أنه إنما يتجه بقدميه نحو فخ جديد .. فخ قاتل .

وفى هذه المرة كانت ضحكته مختلفة ..

كانت شيطانية بحق ..

* * *

٥ ـ لعبة الدم ..

استجابت والدة (منى توفيق) إلى نداء جرس الباب فى سرعة ، وهى تتساءل فى قلق عن ذلك الزائر ، الذى يدق جرسها فى الفجر ، ولم تكد تفتح الباب حتى تضاعفت دهشتها ، وهى تتطلّع إلى تلك الحسناء الفاتنة ، التى وقفت تتطلّع إليها فى شراسة عجيبة ، تبدو شديدة التناقض مع جمالها الصارخ ، قبل أن تسألها فى لهجة باردة ، تحمل شيئًا غير يسير من العنف :

ـ هذا منزل الرائد (منى توفيق) .. أليس كذلك ؟

أجابتها الأم فى قلق :

ـ بلى ، ولكن من ؟..

قاطعتها الفاتنة فى صرامة :

ـ هل (أدهم) هنا ؟

فجّر السؤال بركانًا من القلق والخوف والتوتر فى أعماق الأم ، خاصة وأن (أدهم) قد حذّرها ـ منذ قدومه ، من إبلاغ أى مخلوق بمكانه ، وغمغمت الأم فى اضطراب :

ـ (أدهم) ؟! .. (أدهم) من ؟

أزاحتها الفاتنة جانبًا ، ودلفت إلى المنزل ، وأغلقت الباب خلفها ، وهى تقول :

ـــ سأبحث عنه بنفسى .

واتجهت فى خطوات سريعة إلى حجرة نوم (منى) ، ثم لم تلبث أن توقفت أمام باب المكتب ، عندما تناهى إلى مسامعها صوت (أدهم) من الداخل ، فاستدارت إلى الباب فى شراسة ، وفتحته فى عنف ، واندفعت إلى الداخل هاتفة :

ـــ كنت أعلم أننى سأجدك هنا .

هبّت (منى) من مقعدها ، هاتفة فى دهشة :

ـــ (سونيا) .. كيف وصلت إلى هنا ؟

قالت (سونيا) فى ثورة :

ـــ كنت أعلم أننى سأجد (أدهم) هنا .. كنت أعلم أنه سيهرع إليك ، فور استعادته ذاكرته .. كنت أشعر بهذا وأخشاه طيلة الوقت .

انعقد حاجبا (أدهم) فى صرامة ، وهو يلتفت إليها قائلًا :

ـــ اصمتى يا (سونيا) .

أدارت عينيها إليه ، وقالت فى مرارة :

ـــ ولكنك زوجى أنا ، ومن حقى أن ..

قاطعها فى صوت هادر :

ـــ قلت اصمتى .

ولدهشة (منى) البالغة ، رأت (سونيا) تنكمش أمامه ، وتبتلع لسانها فى طاعة ، وهى تتطلع إليه بعينين فقدتا شراستهما ، وحملتا نداء أقرب إلى الضراعة والرجاء ، وهى تقول :

ـــ (أدهم) .. أرجوك .

أسرعت والدة (منى) إلى الحجرة ، فى هذه اللحظة ، ونقلت بصرها بين وجوه الجميع ، فى قلق بالغ ، وهى تقول :

ـــ ماذا يحدث ؟ .. من هذه السيّدة ؟

اتجهت إليها (منى) ، وربّتت على كتفها فى حنان ، وقالت :

ـــ لاتقلقى نفسك ياأماه .. إنها مشكلة عمل .. اتركينا وحدنا ، وسينتهى كل شىء فى سلام بإذن الله .

نقلت الأم بصرها بين وجوههم مرة أخرى فى قلق ، ثم غمغمت فى استسلام :

ـــ كما ترغبين يابنيتى .. كما ترغبين .

وغادرت حجرة المكتب فى صمت ، وأغلقت بابها خلفها فى هدوء ، فأشار (أدهم) إلى (سونيا) ، وقال :

ـــ اجلسى يا (سونيا) .

أطاعته (سونيا) فى استسلام ، يتنافى مع طبيعتها القديمة ، وهى تقول :

ـــ ولكننى أحبك يا(أدهم) .. أنت تعلم هذا .

تنهّد فى مرارة ، وهو يقول :

ـــ نعم .. أعلم .

شعرت (منى) بغصة تختنق فى حلقها ، وقفزت غيرتها إلى الذروة ، وهى تستمع إلى كلمات الحب ، التى تلقيها (سونيا) على مسامع (أدهم) ، والتى أعجزها خجلها هى عن قولها له دائمًا ، وهى التى لم تمنح قلبها قط لسواه ، حتى عندما تصوَّرت أنه قد لقى مصرعه ..

وران على الحجرة صمت ثقيل ، دام دقائق طوالًا ، قبل أن يقطعه (أدهم) ، قائلًا :

ـــ كنت أقصّ على (منى) ماحدث لنا فى (تيرور) .

قالت (سونيا) فى ضراعة :

ـــ هل تذكر مافعلته من أجلك هناك ؟

قال فى اقتضاب :

ـــ نعم .

ثم اعتدل فى مقعده ، واستطرد :

ـــ لقد أنقذت حياتى فى الواقع .

قالت (منى) ، وهى ترمق (سونيا) فى غيرة :

ـــ أنقذت حياتك ؟!

أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :

ـــ هذا صحيح .

ثم عاد يروى القصة ..

قصة جزيرة الجحيم ..

* * *

نهض (هنتر) من مقعده فى هدوء ، بعد أن شرح لـ (سونيا) فكرته كلها ، وحمل بندقيته ذات المنظار ، ودسّ فى حزامه خنجرًا حادًّا ، ثم التفت إلى (ألدو) ، وقال :

ـــ الآن حانت لحظة الصيد ياعزيزى (ألدو) .

تألقت عينا (ألدو) فى جذل ، وجذب أطواق كلاب الصيد الخمسة ، فنبحت كلها فى شراسة ، ارتجف لها قلب (سونيا) ، و(هنتر) يلتفت إليها ، قائلًا :

ـــ معذرة ياعزيزتى ، سأضطر للانصراف ، وسأتركك فى رعاية شقيقى (جارد) ، حتى أعود إليك برأس زوجك العزيز .

قالت فى حدة :

ـــ أو يعود هو برأسك .

أطلق (هنتر) ضحكة ساخرة ، وقال :

ـــ سترى .

ثم التفت إلى شاب قوى ، وسيم الطلعة ، يشبهه إلى حد كبير ، وقال :

ـــ احترس منها يا (جارد) ، فهى تمتلك قدرًا من الخبث والدهاء ، يبلغ أضعاف ماتمتلكه من جمال .

قال (جارد) فى حزم واقتضاب :

ـــ اطمئن .

حمل (هنتر) بندقيته فوق كتفه ، وقال :

ـــ أنا مطمئن .

ثم راح يهبط الربوة فى زهو وثقة ، يتقدّمه (ألدو) وكلابه الخمسة ، حتى ابتلعتهم الأحراش ، واختفوا داخلها ، فقالت (سونيا) فى بغض :

ـــ ياله من مغرور !

ألقى عليها (جارد) نظرة سريعة ، وقال فى حزم :

ـــ شقيقى (هنتر) عبقرى .. لقد كان عميلًا صغيرًا للمنظّمة فى (فرجينيا) ، ولكنه كافح واجتهد ، وراح يشق طريقه فى هذا العالم ، حتى اختاروه رئيسًا وزعيمًا للمنظمة كلها ، بعد مصرع زعيمها السابق .

أدركت بغريزتها وخبرتها أن (جارد) هذا من الطراز المتحدّث ، فسألته فى اهتمام مفتعل :

ـــ وماذا عنك أنت ؟

هزّ كتفيه ، وقال :

ـــ أنا أختلف ، فقد ..

ثم بتر عبارته بغتة ، وعقد حاجبيه فى صرامة ، وقال :

ـــ لا .. لن أخبرك شيئًا .. (هنتر) حذّرنى من أن أسقط فى حبائلك .

وأشاح بوجهه عنها ، وأمسك مدفعه الآلى فى صرامة ، فعضت هى شفتها السفلى فى غضب ، وأدارت وجهها إلى الأحراش ، وهى تتساءل فى أعماقها :

ـــ أين أنت يا (أدهم) ؟ .. أين ؟

ولم يكن لديها جواب ..

قط ..

* * *

عبرت الكلاب الأحراش فى سهولة ، فقد اعتادت مطاردة فرائسها ، من الحيوانات والبشر فيها ، وتبعها (هنتر) ، وهو يفحص الأرض والأغصان فى اهتمام بالغ ، ويقول لـ (ألدو) :



عبرت الكلاب الأحراش فى سهولة ، فقد اعتادت مطاردة فرائسها ، من الحيوانات والبشر فيها ..

– إننا نسير فى الطريق الصحيح يا (ألدو) .. كل الشواهد والأدلة تشير إلى هذا .

ثم أشار إلى منطقة الأغصان المتشابكة ، التى أطلق عليها رجاله النار ، وهم يظنونها (أدهم) ، وقال :

– هنا أطلق رجالنا الأغبياء النار .. لقد خدعهم ذلك الرجل بوسيلة ما .

أدار عينيه فيما حوله ، وتابع :

– ولقد دار بينه وبينهم قتال سريع ، فهناك أغصان كثيرة محطَّمة ، وفروع متهشِّمة .

واعتدل يفكِّر لحظة فى عمق ، ثم قال فى حزم :

– هيا .. سنتجه إلى المنطقة السابعة على الفور ، فنحن نعلم أنه قد سقط فى فخ هناك ، وسنبدأ فى اقتفاء آثاره من تلك النقطة .

حثّا الخطا ، حتى بلغا المنطقة السابعة ، وفحص (هنتر) الآثار هناك ، ثم اعتدل ، وابتسم فى جذل ، قائلًا :

– إنه ذكى وخبيث بالفعل .. ولكنه مازال تحت سيطرتنا .

سأله (ألدو) :

– هل اتجه إلى أحد حاجزى الأسلاك ، كما توقعت ياسيدى ؟

أومأ (هنتر) برأسه إيجابًا ، وقال :

ـ نعم ، ولقد اختار أن يتجه إلى الحاجز الغربى ؛ لأن هذا سيجعل الشمس فى مواجهتنا ونحن نطارده ، ولأن الرياح ستهبّ فى اتجاهه ، مما يمنع الكلاب من التقاط رائحته .

وعاد يومئ برأسه فى جذل ، مكرّرًا :

ـ إنه داهية بحق .

ولوّح ببندقيته ، ثم عاد يضعها على كتفه ، مستطردًا :

ـ وهذا يزيد من متعتى كثيرًا .. هيا ياعزيزى (ألدو) .. سنتبع صديقنا (أدهم) إلى الغرب .

وانطلق مع كلابه نحو الهدف ..

واستمرّت عملية الصيد ..

* * *

بلغ (أدهم) نهاية منطقة الأحراش الكثيفة ، ووصل إلى مساحة منبسطة ، يمتد فيها عشب قصير حتى يبلغ الهدف ، الذى يسعى (أدهم) إليه ، فتنهّد (أدهم) ، وقال بسخريته الشهيرة :

ـ يبدو أن هذا هو أخطر عائق يواجهك يا (أميجو)

جلس مسندًا ظهره إلى جذع شجرة ضخمة ، وأخفى عينيه براحته ، وهو يلقى نظرة سريعة على قرص الشمس ، الذى بدأ

رحلته ، من منتصف السماء إلى الغروب ، وتابع :

ـ اجتياز تلك المساحة العارية يعدّ انتحارًا ، فى مثل هذه الظروف ، ولو أننا استمعنا إلى صوت العقل ؛ لكان من الضرورى أن أنتظر حلول الليل .

ثم ابتسم فى سخرية ، مستطردًا :

ـ ولكن من ذا الذى يستمع إلى صوت العقل ؟

كان يعلم أن أحدًا لن يمهله الوقت الكافى ، حتى يهبط الليل ، ويمكنه شق طريقه نحو هدفه ، ويعلم فى الوقت نفسه أنه من المستحيل أن يعبر تلك المساحة ، تحت ضوء الشمس ، فى وجود أكثر من عشرين رجلًا ، يراقبون المنطقة فى حذر وانتباه ، ويتحفّزون لإطلاق النار على أى جسم يتحرّك ، حتى ولو كان ظلّهم ..

ولكن عليه أن يجد الحل حتمًا ..

أو يموت ..

فجأة شعر بذلك الشئ الناعم الدافئ على قدميه ..

ثم التقت عيناه بعينى الشىء .

وكان هذا الشىء أفعى ..

أفعى من نوع الكوبرا السام ، تتطلّع إليه فى تحفّز واستعداد ، وتتأهّب للانقضاض عليه ..

وبلا رحمة ..

* * *

٦ ـ الأفعى ..

أطلقت (سونيا) تنهدة حارة من أعماقها ، واسترخت بجسدها فوق المقعد ، الذى قيّدوا معصميها إليه ، وقالت فى لهجة تفوح بالدلال :

ـ يا لحرارة الطقس اليوم !

التفت إليها (جارد) فى دهشة ، وقال :

ـ حرارة الطقس ؟! ..ولكننى أرى الطقس رائعًا اليوم .

أسبلت جفنيها على نحو مدروس ، تدرك جيّدًا تأثيره على جمالها وفتنتها ، وهى تقول فى صوت ناعم :

ـ لِمَ أشعر بالحرارة إذن ؟

تطلّع (جارد) إلى وجهها الساحر الفاتن ، وخيّل إليه أن تلك الحرارة ، التى تتحدّث عنها ، تنبعث من أعماقه هو ، وتتصاعد إلى قلبه ، فتلفحه بنيران ملتهبة ، وترفع نبضه إلى ذروته ، حتى أن العرق أخذ يتصبّب على وجهه ، على الرغم من ملاحظته الأخيرة عن روعة الطقس ، فوجد نفسه يغمغم :

ـ نعم ..إنه حار بالفعل .

ثم تذكّر تحذير شقيقه ، فأشاح بوجهه فى سرعة ، وهو

يقول فى توتر :

ـ ولكن علينا أن نحتمله .

قالت (سونيا) فى دلال ، وبلهجة يندر ألا يستجيب لها رجل :

ـ هل لى فى جرعة من الشراب على الأقلّ ؟

أجابها على الفور :

ـ بالتأكيد .

قالها فى حماس ، لم يدر هو نفسه سببًا له ، وانقضّ على ثلاجة الرحلات الصغيرة ، فانتزع منها زجاجة شراب مثلّجة ، ومدّ يده بها إلى (سونيا) ، التى منحته أكثر ابتساماتها سحرًا وجاذبية ، وهى تقول فى أسف :

ـ لن يمكننى تناولها .. إننى مقيّدة المعصمين .. ألا ترى هذا ؟

نقل بصره إلى معصميها المقيّدين ، وغمغم فى حيرة :

ـ ماذا نفعل إذن ؟

أسبلت جفنيها الجميلين مرة أخرى ، وقالت :

ـ أخشى أن أطلب منك حل أحد معصمىّ ، حتى لا تتصوّر أننى أحاول خداعك .

ثم تهدّج صوتها ، وهى تستطرد :

— لا داعى .. لن أشرب .. سأحتمل حرارة الطقس .

تضاعفت حرارته هو مع فتنتها ، وصوتها الناعم البائس ، فقال مشفقًا :

ولِمَ لا أسقيك أنا ؟. يمكنك أن ترفعى فمك ، وسأدنى طرف الزجاجة من شفتيك ، و ..

قاطعته بصوتها الدافئ :

— لا .. هذا يُفقدنى الشعور بآدميتى .. لا .. لست أريد .

وانحدرت من عينيها دمعة باردة ، تعلّمت على أيدى الخبراء فى (الموساد) ، كيف تصطنعها وقت اللزوم ؛ لتستدرّ بها عاطفة الخصم ، وبدت له تلك الدمعة أكثر دفئًا من كل ينابيع الأرض ، فاختلج قلبه وهو يتطلّع إلى سحرها وجمالها ، وتصارعت فى أعماقه رغبته فى محو حزنها ، وضمها إلى صدره ، وضرورة طاعته لشقيقه ..

ولكن جمال (سونيا) كان فاتنًا بحق ..

كان أروع من أن يصمد أمامه رجل عادى ..

ولهذا انهارت مقاومة (جارد) ..

وفى تردّد ، قال :

— يمكننى أن أحلّ واحدًا من معصميك .

رفعت عينيها المسبلتين الدامعتين إليه ، وقالت :

— حقًا ؟!

أسرع يقول :

— نعم .. على أن أوثقه مرة أخرى ، بعد أن تشربى .

وانخفض صوته ، وهو يستطرد فى قلق :

— ولن نخبر (هنتر) بهذا .

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت فى نعومة :

— أعدك أنه لن يعلم .

جفّف عرقه فى توتّر ، ثم انحنى يحلّ وثاق يدها اليمنى ، وهو يدنى وجهه من وجهها ، ويتنفّس أنفاسها العطرة ، مغمغمًا :

— لم أحتمل رؤيتك تبكين .

همست فى دلال :

— حقًا ؟!

ولكنها لم تكد تشعر بمعصمها يتحرّر ، حتى ألقت كل نعومتها خلف ظهرها بغتة ، وقالت فى سخرية :

— إنك إذن أغبى رجل رأيته فى حياتى .

وارتفعت ركبتها فى قوة وحدّة ؛ لترتطم بضلوعه فى عنف ، وشهق الشاب فى ألم ، وسمع صوت تحطّم إحدى أضلاعه ، قبل أن تهوى (سونيا) بحافة يدها على عنقه ، ثم تختطف مدفعه الآلى من يده ، وتلصق فوهته بموضع قلبه ، مستطردة فى شراسة :

— والأغبياء لايستحقون الحياة .

وبلا تردد ضغطت زناد المدفع الآلى ..

وانكتم صوت الرصاصة ، وهى تعبر صدر الشاب ، وتخترق قلبه ، ثم تنفذ من ظهره بلا رحمة ..

فى هذا كانت (سونيا) تختلف تمامًا عن (أدهم) ..

لم يكن القتل يعنى لها شيئًا ..

لم تكن تبالى بإراقة الدماء ..

بل إنها كثيرًا ماكانت تجد أن إزاحة خصومها عن الطريق ، أفضل من بقائهم على الساحة ، وهم يحملون فى قلوبهم الرغبة فى الانتقام منها ..

وفى سرعة ، دفعت جثة الشاب بقدمها ، وهى تقول فى ازدراء ..

— أيها السخيف ، لقد لوّثت جوربى بدمائك .

ثم حلّت وثاق معصمها الأيسر ، ونهضت تقول :

— تُرى أين وضعوا مسدّسى ؟

وقع بصرها على المسدّس المزوّد بكاتم للصوت ، والموضوع على المائدة المجاورة لمقعد (هنتر) ، فالتقطته فى سرعة ، وانتزعت خزانته الفارغة ، وألقتها بعيدًا ، ثم التقطت من جوربها خزانة أخرى ممتلئة بالرصاصات ، ودفعتها أسفل مقبض

المسدّس ، ثم قالت :

— معذرة ياعزيزى (أدهم) .. لن أهرع خلفك على الفور ، فاحتفاظى بك لا يحتاج إلى إنقاذ حياتك فحسب ، وإنما إلى إخفاء كل ما يتعلّق بشخصيتك عن الجميع .. حتى عنك أنت نفسك .

وأسرعت الخطا نحو هدف لم يكن (هنتر) ليتوقعه ..

نحو القلعة ..

* * *

انهمك (هنتر) فى فحص الآثار ، التى تركها (أدهم) خلفه ، وهو ينطلق بكلابه نحو الحاجز الغربى ، حتى ارتفعت زمجرة مباغتة من الكلاب الخمسة ، التى توقّفت بغتة ، وانتصبت ذيولها ، وراحت ترفع قائمتها فى توتر ، فتوقّف (هنتر) ، وانتبهت حواسه كلها ، وهو يقول :

— لقد التقطت الكلاب رائحته .. لقد تبدّل اتجاه الرياح .

التزم (ألدو) الصمت ، وكذلك فعلت الكلاب الخمسة المدرّبة ، فى حين التقط (هنتر) منظاره فى بطء وحذر ، ووضعه فوق عينيه ، وراح يديره فى المكان متفحّصًا ، حتى توقّف عند نقطة فى أقصى الغرب ، وقال فى انفعال :

— ها هو ذا

كان المنظار ينقل إليه صورة جزء من جسد رجل ، يستند بظهره إلى جذع شجرة كبيرة فى صمت ، دون أن تبدر عنه حركة واحدة ، فاستطرد (هتلر) ، وهو يخفض المنظار فى نشوة :

— لقد وقع .

ثم اقترب من الكلاب ، وقال :

— رائع أيها الصغار .. لقد التقطتم رائحته فى مهارة ، على الرغم من أنكم لم تحصلوا إلا على قدر ضئيل منها ، من قطعة الثياب التى انتزعناها منه ، قبل أن نطلقه فى الأحراش .

زمجرت الكلاب فى خفوت ، فربّت على رءوسها ، واحدًا بعد الآخر ، وقال :

— هل تريدون القناصه أوّلًا ؟

عادت الكلاب تزمجر مرة أخرى ، فابتسم مستطردًا :

— لا بأس .. سأمنحكم الفرصة .. من صاحب الحق هذه المرة؟ . إنه أنت يا (جاوس) .. أليس كذلك ؟

حل السلسلة المعدنية من طوق أضخم الكلاب حجمًا ، وداعب ظهره ، وهو يقول :

— هيا .. ستفوز به أنت ، ولكن حذار أن تنبح ، قبل أن

تبلغه ، وحذار أن تقتله ، فمهمتك هى القناصه فحسب ، أما قتله فهو مهمتى أنا .

وربّت على ظهر الكلب ، قبل أن يقول فى حزم :

— هيا .. انطلق .

وأطاع الكلب الأمر على الفور ، وكأنما يروق له أن يسفك الدماء كصاحبه ، وانطلق نحو الهدف ..

* * *

تجمّد (أدهم) تمامًا ، حتى لقد بدا أشبه بتمثال من الرخام ، وهو يحدّق فى عينى الأفعى المشقوقتين ، ويتبادل معها نظرة صارمة ، كما لو أنهما فى موقف تحدٍّ ، أو فى صراع زعامة ..

كان (أدهم) يعلم أن الأفعى تدرس خصمها أوّلًا .. قبل أن تنقضّ ..

وكان هو ينتظر لحظة الانقضاض هذه ..

ثم رفعت (الكوبرا) رأسها ، وأبرزت أنيابها ، وتقوّست على نحو مخيف ..

وانقضت بغتة ..

وكان سابقًا للسرعة ، والقوة ..

فى نفس اللحظة التى انقضّت فيها (الكوبرا) ، أو التى



وقبل أن تنقضّ أنياب الأفعى على عنق (أدهم) ، كانت يد (أدهم) تنقضّ على عنق الأفعى ..

بدأت فيها انقضاضتها ، رصدت عينا (أدهم) الموقف كله ، وبدأت يده حركتها ..

وقبل أن تنقضّ أنياب الأفعى على عنق (أدهم) ، كانت يد (أدهم) تنقضّ على عنق الأفعى ..

وأطلقت الأفعى فحيحها الغاضب ، وراحت تتلوّى فى هياج ، وقبضة (أدهم) تطوّق عنقها فى قوة ..

وفى هدوء ، عاد (أدهم) يتطلّع إلى عينى الأفعى ، وهو يقول :

— الآن تعلمين من الأقوى .. أليس كذلك ؟

تراخت الأفعى فى قبضته ، وكأنما استوعبت الدرس أو فهمته ، وراحت تتطلّع إليه بعينيها أيضًا ، وهو يبتسم مستطردًا :

— إننى لا أحمل لك أى عداء ، فالظروف وحدها جمعت بيننا ، فى جزيرة الجحيم هذه .

ثم نهض فى بطء ، وقال :

— معذرة ياعزيزتى ، سنفترق الآن ، فلست مستعدًا للدخول فى صراعات جانبية .

قالها وألقى الأفعى بعيدًا ، ولم تكد هى تسقط أرضًا ، حتى أسرعت تزحف مبتعدة ، وهى لا تصدّق نجاتها من ذلك

الخصم ، الذى لم تستوعب ذاكرتها بعد ، أبشر هو كسابق خصومها ، أم وحش رهيب من وحوش هذه الأحراش ؟.

أما (أدهم) ، فقد عاد يسترخى عند جذع الشجرة ، وهو يغمغم :

ــ مازلت لم أعثر بعد على الوسيلة المناسبة ؛ لعبور هذه الساحة العارية

لم يكد ينطقها ، حتى شعر بذلك الحيوان ، الذى يقترب منه فى سرعة ، فالتفت إليه بجسده كله ..

وكانت المواجهة ..

* * *



٧ ــ أنياب ..

رفع واحد من حرّاس البوّابة الخلفية للقلعة عينيه إلى السماء ، يلقى نظرة سريعة على قرص الشمس ، الذى قطع نصف رحلته ، من كبد السماء إلى الشفق الغربى ، ثم هزّ رأسه وقال :

ــ ما الذى حدث هذه المرة ؟. إن مستر (هنتر) لم يستغرق كل هذا الوقت لاصطياد طريدة من قبل .

هزّ الثانى كتفيه ، وقال وهو يلتقط علبة سجائره :

ــ يقولون إن الطريدة هذه المرة هو نفس الرجل ، الذى نجح فى الفرار من هنا سابقًا .

هتف الثالث :

ــ حقًا ؟!

ثم التقط سيجارة قدّمها له الثانى ، وأضاف :

ــ لو أنه نفس الرجل ، فسيبذل مستر (هنتر) جهدًا خارقًا ، حتى يظفر به .

التفت إليه الأوّل ، وسأله وهو يشعل سيجارته :

ــ هل تعرفه ؟ ..هل كنت هنا عندما جاء سابقًا ؟

أومأ الثالث برأسه إيجابًا ، وقال :

ــ نعم .. إنني واحد من قلائل كانوا هنا ، قبل تغيير الطاقم بأكمله تقريبًا ، ولقد شاهدت ذلك الرجل يفعل المستحيل .

ثم مال نحو زميليه ، وكأنما يرغب في إحداث أثر قوى لكلماته ، قبل أن يضيف :

ــ لقد قتل ذئبًا بيديه العاريتين .(*)

هتف الأول مشدوهًا :

ــ قتل ذئبًا ؟!

ثم نفث دخان سيجارته ، وهو يستطرد :

ــ من حسن حظنا أننا لن نواجهه .

ارتفع من خلف أكمة قريبة صوت أنثوى ساخر يقول :

ــ أو من سوء حظكم .

التفت الثلاثة إلى مصدر الصوت في حركة حادة ، وبرزت أمامهم (سونيا) فجأة ، ومسدسها مصوب إليهم ، وهي تستطرد :

ــ لأنكم لن تكونوا في هذا العالم .

(*) راجع قصة (أرض الأهوال) .. المغامرة رقم (١٣) .

انطلقت من مسدسها رصاصة صامتة ، اخترقت جمجمة الأوّل ، فانتزع الثاني مسدسه ، وهتف :

ــ أيها الله ..

ولكنها أخرسته برصاصة ثانية ، غاصت بين عينيه ، في نفس اللحظة التي صوّب فيها الثالث مسدسه إليها ، صارخًا :

ــ ماذا فعلت أيتها الحقيرة ؟

ولكن (سونيا) قفزت جانبًا ، ودار جسدها حول نفسه دورة أفقية بارعة ، قبل أن تنطلق من مسدسها رصاصة ، اخترقت عنق الرجل ، الذى جحظت عيناه في شدة ، وانطلقت من صدره شهقة ، تحوّلت إلى ما يشبه الخوار ، قبل أن يسقط على وجهه جثة هامدة ، قبل أن تنطلق من مسدسه رصاصة واحدة ..

ولم تضع (سونيا) لحظة واحدة ..

لقد تجاوزت القتلى الثلاثة إلى داخل القلعة ، وراحت تعبر ممراتها في سرعة ، حتى بلغت حجرة كبيرة ، توقّفت عند بابها في حذر ، ثم دفعت الباب بقدمها في عنف ، وقفزت داخل الحجرة ، وهبّ ثلاثة رجال من مقاعدهم ، وارتفعت يدا أحدهم فوق رأسه ، وهو يهتف في رعب :

ــ إننا لسنا رجال قتال ياسيّدتي .. أقسم لك

ولكن (سونيا) لم تبال بقوله ، وإنما أطلقت رصاصات مسدسها فى سرعة ، وسقط الثلاثة عند قدميها جثثاً هامدة ، فأعادت المسدس إلى حزامها ، وهى تقول فى سخرية :

ـ أعلم أنكم لستم رجال قتال يارجل .. إنكم رجال علم .

واتجهت فى هدوء إلى أجهزة الكمبيوتر ، التى كان الرجال الثلاثة يجلسون أمامها ، وداعبت أزرار الأجهزة فى سرعة ، وعلى نحو يشف عن خبرتها فى هذا المجال ، حتى بدأت المعلومات المختزنة فى التدفق على شاشات الأجهزة ، وراحت هى تتابعها فى اهتمام بالغ ، وهى تغمغم :

ـ كان من الضرورى أن أجد هذا .. كل وكر ضخم يمتلك برنامجًا مماثلاً .

ثم دفعت أحد المقاعد أمام واحد من أجهزة الكمبيوتر الثلاثة ، وجلست مستطردة :

ـ ينبغى أن أرتب ذهنى أوّلا ، قبل الشروع فى العمل .. فى البدايه سأمحو كل معلومات (سكوربيون) ، فيما عدا هذا البرنامج .

وارتسمت على شفتيها ابتسامة ساخرة ، وهى تضيف :

ـ وبعدها أعدّه للعمل .

وكانت ابتسامتها تحمل شيئًا عجيبًا ..

ومخيفًا ..

* * *

انطلق كلب الصيد (جاوس) نحو هدفه ، الذى تحمل إليه الرياح رائحته الواضحة ، التى لقّنه سيّده إياها ، وطالبه بتعقبها ، مثلما يحدث فى كل عملية صيد سابقة ..

وكأى كلب مدرّب ، لم يصدر عن (جاوس) أدنى صوت ، وهو يعدو نحو الهدف ..

وكلما اقترب من الهدف ، كانت الرائحة تصبح أقوى ..

ثم انقضّ (جاوس) على الهدف ..

وغرس أنيابه فيه ..

وسقط الهدف أمام (جاوس) ، الذى تراجع فى حيرة ، وقد بدا له الهدف عجيبًا هذه المرة ، بالرغم من أنه يحمل نفس الرائحة ..

كان عبارة عن قميص محشو بالأغصان الجافة ، بحيث يبدو على هيئة رجل ..

وكانت هناك ثقوب رصاصات عديدة فى القميص ..

كل هذا لاحظه (جاوس) فى الثانية الأولى ..

ثم لم تكن هناك ثانية أخرى ..

لقد جذب (جاوس) — دون أن يدرى — حبلًا من الأغصان القوية ، بانقضاضته على الهدف ، وهذا الحبل أسقط بدوره غصنًا حادًا كالرمح ، من أعلى الشجرة ، التى كان الهدف يرتكن إلى جذعها ، و ..

وغاص الرمح البدائى فى جسد (جاوس) ، واخترق ظهره ، وألقاه أرضًا ..

وأطلق الكلب نباح ألم رهيب ، ثم سقط جثة هامدة ، إلى جوار قميص (أدهم) ..

ومن موقعه رأى (هنتر) ماحدث ، وانطلقت من صدره صرخة قوية ، وهو يهتف :

— (جاوس) !!

ثم اندفع بأقصى سرعته ، وسط الأحراش ، حتى بلغ جثة الكلب ..

ومن النظرة الأولى ، فهم (هنتر) اللعبة كلها ..

وبكل المرارة والأسى ، سقط على ركبتيه ، إلى جوار جثة الكلب ، وترقرقت الدموع فى عينيه ، وهو يردّد :

— (جاوس) .. لقد قتلك ذلك الرجل .. قتلك يا (جاوس) .

وفى هذه المرة لم يفهم (ألدو) شخصية زعيمه أبدًا !! ..

كيف يبكى أمام جثة كلب ، وهو الذى قتل عشرات الرجال بيديه ، دون أن ترتجف فى جسده شعرة واحدة ، أو يهتز فى مشاعره عصب واحد ؟ ..

كيف يمكن أن يفعل ؟! ..

ولكن (ألدو) اعتاد ألا يفهم زعيمه ..

وألا يحاول ..

كل ما فعله هو أن التزم الصمت تمامًا ، حتى نهض (هنتر) واقفًا على قدميه ، وقال فى غضب :

— لن يفلت منى هذا الرجل أبدًا .. لقد قتل (جاوس) .

ثم انعقد حاجباه فى غضب هائل ، وتابع فى هياج ، لم يشهد (ألدو) مثيلًا له من قبل :

— سننطلق خلفه يا (ألدو) .. سنطارده حتى الموت .

غمغم (ألدو) :

— سنفعل بالتأكيد أيها الزعيم .

أدار (هنتر) عينيه حوله فى توتر ، ثم خفضهما يفحص الآثار المتخلفة فى المكان ، فى حين التفت كلابه الأربعة حول جثة زميلها ، تتشممه فى حزن ، وتزمجر فى غضب ، فوجّه (هنتر) حديثه إليها ، قائلًا :

— سننتقم له يا صغارى .. أقسم أن نفعل .

خُيِّل لـ (ألدو) أن الكلاب قد فهمت ما يعنيه زعيمها ، إذ رفعت قوائمها ، وراحت تضرب بها الهواء ، وكشَّرت عن أنيابها فى شراسة ، وكأنما تعلن استعدادها لتحقيق قسم صاحبها ، والانتقام لزميلها ..

وكنمر شرس غاضب ، أدار (هنتر) عينيه مرة أخرى فى المكان ، ثم رفع رأسه يقول :

— عجبًا !!

تردَّد (ألدو) هذه المرة ، دون سبب مفهوم ، قبل أن يسأله :

ماذا هناك ياسيِّدى ؟

أمسك (هنتر) ذقنه بسبَّابته وإبهامه ، وهو يقول :

— لو أن هذا المصرى قد اتجه إلى الحاجز الغربى حقًا ، لكانت هذه الآثار ..

لم يتمّ عبارته ، وإنما انهمك فجأة فى تفكير عميق ، انتهى منه بغتة ، وهو يهتف :

— يا إلهى ! .. ياله من شيطان !

ثم التفت إلى (ألدو) ، وهتف :

— لقد خدعنا ذلك المصرى طيلة الوقت يا (ألدو) .. إن

هدفه لم يكن أبدًا الحاجز الغربى ، ولا حتى الشرقى .. لقد دار حولنا ، وترك فى طريقنا بعض الآثار الخادعة ، فى حين كان هدفه الحقيقى هو آخر هدف يمكن أن يخطر ببالنا .

وأشار بيده إلى نقطة تكاد لا تبدو ، من بين الأحراش ، وهو يستطرد فى انفعال جارف :

— القلعة .

وهنا ارتجف قلب (ألدو) ..

ارتجف بحق ..

* * *

التفت (أدهم) فى سرعة ، يواجه ذلك الحيوان ، الذى ينقضّ عليه ، من قلب الأحراش ، ولقد جاءت التفاتته فى الوقت المناسب تمامًا ، فقد تفادى بها وثبة الحيوان الأولى ، ومخالبه الرفيعة الحادة ، التى عبرت أمام عينيه ، وتبعها فراء الحيوان ، ورائحته الشبيهة برائحة المستنقعات ، قبل أن يهبط على قدميه ، على قيد أمتار قليلة من (أدهم) ، ثم يلتفت إليه فى شراسة ، مكشّرًا عن أنيابه ، ومطلقًا صرخة حادة رفيعة ، تجمع ما بين مواء القط وفحيح الأفعى ..

وهبّ (أدهم) واقفًا فى تحفّز ، يواجه الحيوان بدوره ..

كان قطًا بريًا جائعًا(*) ، فى حجم كلب كبير ، والوحشية تسيل مع الزبد بين شدقيه ، ومخالبه تضرب الأرض فى عنف ، وذيله الضخم يتطاير خلفه فى توتر زائد ..

وفى حذر شرس ، راح القط البرى يدور حول خصمه فى تحفز ، فى حين راح (أدهم) يستعد للهجوم بكل حواسه أيضًا ..

ثم وثب القط ..

وفى هذه المرة قفز (أدهم) جانبًا ، وضمّ قبضته ، وهوى بها على معدة الحيوان فى لكمة كالقنبلة ..

وأطلق القط البرى صرخة ألم ، وهو يسقط على قدميه ، وزمجر فى غضب ، وهو يستدير لمواجهة خصمه مرة أخرى ..

ثم وثب بغتة ..

ومرة أخرى ، تلقاه (أدهم) بلكمة عنيفة فى معدته ،

(*) القط البرى : من فصيلة القطط ، يطلق عليه اسم (السنور) ، مخالبه قوية قابلة للانكماش ، ينتمى إلى نفس العائلة ، مع الأسد ، والنمر ، والفهد ، والنمر الأمريكى ، والقوطة .

أسقطته خلفًا ، وضربته فى الأرض ، فأطلق صرخة ألم ثانية ، وهبّ واقفًا على قدميه ..

وكان (أدهم) يشعر بقلق حقيقى ..

ليس بسبب القط البرى ، وإنما بسبب رجال (سكوربيون) ، الذين يقفون بعيدًا ، والذين قد يلمحون قتاله هذا ، ويدركون موضعه ، فيفسدون خطته ، ويضيعون عامل المفاجأة ، الذى يعتمد عليه أشدّ الاعتماد ..

ولكن كعادة (أدهم) ، التى لم يفقدها مع فقدانه الذاكرة ، ألقى عقله هذا القلق جانبًا ، وتركّز مع الصراع الحالى ..

صراعه مع القط البرّى ..

ولم يثب القط على خصمه بسرعة هذه المرة ، بل راح يفحصه ويدرسه بنظرة جديدة ، مع ذلك الألم المنبعث من موضع ضرباته فى معدته ..

وكانت المفاجأة مدهشة ومخيفة بالنسبة للقط المسكين ، عندما وثب (أدهم) نحوه ، عاكسًا الأدوار ..

وبحركة مرنة سريعة ، أمسك (أدهم) ذيل القط ، وجذبه إليه قائلاً فى سخرية :

— إما أن تثب أنت ، أو أثب أنا يا صديقى .



وفجأة وجد القط نفسه يرتفع فى الهواء ، ثم يرتطم بجذع الشجرة ..

وفجأة وجد القط نفسه يرتفع فى الهواء ، ثم يرتطم بجذع الشجرة ، و(أدهم) يستطرد :

ـــ المهم ألا نضيع الوقت .

ولم يضيع القط البرى وقتا بالفعل ..

صحيح أنه كان يتضوّر جوعًا ، إلا أن هذا لم يكن يكفى لدفعه إلى مهاجمة خصم ، له مثل هذا التفوّق ؛ لذا فلم يكد (أدهم) يفلت ذيل القط ، ولم يكد هذا الأخير يسقط أرضًا ، حتى انطلق يعدو بأقصى سرعة يملكها ، فأطلق (أدهم) ضحكة قصيرة ، وقال :

ـــ يا لعالم الحيوان !!

وفجأة ارتفع من خلفه صوت (هنتر) ، يقول :

ـــ لقد صار شبيهًا بعالم البشر .. أليس كذلك ؟

وعندما استدار (أدهم) فى سرعة ، كانت فوهة مسدس (هنتر) مصوّبة إلى صدره ..

ومباشرة ..

* * *

٨ — وجهًا لوجه ..

تسلّلت أشعة الشمس ، عبر نافذة مكتب (منى) ، لتغمر الحجرة بضوئها ودفئها ، و (منى) تهتف فى اهتمام :

— إذن فقد لحق بك (هنتر) .

أومأ (أدهم) برأسه إيجابًا ، وقال :

— لقد كان واحدًا من أبرع قصاصي الأثر ، الذين التقيت بهم ، فى عمرى كله ، فعلى الرغم من كل وسائل التضليل التى استخدمتها ، وكل الآثار الزائفة ، التى تركتها خلفى ، أمكنه أن يدرك أن هدفى الحقيقى هو القيام بدورة واسعة ، ثم العودة مرة أخرى إلى القلعة ، إذ كانت المكان الوحيد ، الذى لايتوقع مخلوق منهم عودتى إليه ، بكل ما يحيط به من حراسة ووسائل أمن .

قالت (سونيا) فى زهو :

— ولكننى نجحت فى دخولها .

رمقتها (منى) بنظرة ضيق طويلة ، فابتسمت فى سخرية ، وقالت :

— أكان يمكنك أنت فعل هذا ؟

أجابتها (منى) فى حدة :

— بالتأكيد .

ثم استعادت رصانتها ، وهى تستدرك :

— ولكننى كنت سأستخدم حتمًا وسائل مختلفة .

قالت (سونيا) فى برود :

— المهم هو بلوغ الهدف .

لم يرق هذا الحوار ، بكل ما يخفيه من استفزاز وعناد ، لـ (أدهم) ، فقال فى حزم :

— كفى .

هزّت (سونيا) كتفيها ، والتقطت من حقيبتها سيجارة ، أشعلتها فى عصبية واضحة ، ونفثت دخانها فى قوة ، ثم قالت :

— أظن أنه من العسير الحصول على كأس من الخمر هنا .

قال (أدهم) فى صرامة :

— ولا فى أى منزل ملتزم .

تطلّعت إليه (سونيا) لحظة فى صمت ، ثم التفتت إلى (منى) ، قائلة :

— أتعلمين أنه كان يرفض تمامًا شرب الخمر ، حتى وهو فاقد الذاكرة ؟

قال (أدهم) :

— ما من رجل عاقل يقرب الخمر .

ثم أضاف فى حزم :

— ولكن دعونا من هذا الآن ، ولنعد إلى قصتنا .

ابتسمت (سونيا) ، وقالت فى استهتار :

— من العجيب أن أجد متعة فى سماعها ، وقد عشت معظم لحظاتها معك .

أجابتها (منى) فى حدة :

— ومن العجيب أيضًا أن يأتى يوم ، تجلسين فيه فى منزلى كضيفة يا (سونيا) ، وعلى الرغم من هذا فأنا أحتمل الأمر ، ويمكنك احتمال جزء خاص بك .

رمقتها (سونيا) بنظرة باردة طويلة ، ثم قالت فى شىء من الشماتة :

— لا بأس .. الاستماع إلى (أدهم) أمر ممتع دائمًا .

ثم أضافت فى خبث :

— وبالذات فى الليالى المقمرة .

تفجَّرت غيرة (منى) ومرارتها ، فأشاحت بوجهها فى توتر ، فى حين عقد (أدهم) حاجبيه فى صرامة ، وقال :

— أظن أن العودة إلى القصة ، أفضل من هذه السخافات .

قالت (منى) ، دون أن تلتفت إليه :

— بالتأكيد .

والتقطت نفسًا عميقًا ، وكأنما تحاول منع دموعها من الانهمار ، قبل أن تستطرد :

— هل أطلق عليك (هنتر) النار مباشرة ؟

هزَّ (أدهم) رأسه نفيًا ، وقال :

— لا .. لم يكن هذا يمنحه المتعة الكافية .

سألته وهى تلتفت إليه فى بطء :

— ماذا فعل إذن ؟

اعتدل قائلًا :

— سأخبرك .

وعاد يروى ..

* * *

مضت لحظات من الصمت ، و(أدهم) و(هنتر) يتبادلان نظرة تحد طويلة ، فى حين راحت كلاب الصيد الأربعة تكشر عن أنيابها ، وتزمجر فى صوت منخفض ، وقد أنبأتها رائحة (أدهم) أنه نفس الشخص ، الذى تسبب فى مصرع زميلها ، وبذل (ألدو) أقصى طاقته للسيطرة عليها ، ومنعها من الانطلاق ، و(هنتر) يقطع حبل الصمت ، قائلًا :

— هل أدركت الآن أنه ما من شخص يمكنه أن يربح لعبة صيد ، مع (هنتر) ؟

عقد (أدهم) ساعديه أمام صدره ، وقال فى هدوء :

ـــ ولكنك لم تظفر بى بعد يا (هنتر) .
أجابه (هنتر) فى حدّة :
ـــ كل ما يحتاج إليه الأمر ، هو ضغطة واحدة على الزناد .
ابتسم (أدهم) فى سخرية ، وهو يقول :
ـــ اضغطها إذن .
هزّ (هنتر) رأسه نفيًا ، وقال فى حزم :
ـــ لا يارجل .. لم يحن الوقت بعد ، فلصغارى ثأر عندك .
ألقى (أدهم) نظرة لامبالية على الكلاب الأربعة الضخمة ، وقال فى استهتار ساخر :
ـــ صغارك ؟ .. لقد أدركت الآن إلى أية فصيلة تنتمى يا (هنتر) .
قال (هنتر) فى حدة :
ـــ سأمنحك مزيدًا من الثقة إذن .
ثم التفت إلى (ألدو) ، هاتفًا :
ـــ أطلق (ترميناتور) .
وعلى الفور ، حلّ (ألدو) طوق أحد الكلاب الأربعة ، وصاح :
ـــ انطلق .
وانطلق كلب الصيد الشرس نحو (أدهم) ..
ولكن (أدهم) لم يتحرّك من مكانه ..
لقد بقى ثابتًا ، جامدًا ، كتمثال يعقد ساعديه أمام صدر قوى ، دون أن تهتزّ فى رأسه شعرة واحدة ..
حتى وثب (ترميناتور) ..
فى هذه اللحظة فقط قفز (أدهم) جانبًا ، متجاوزًا

انقضاضة الكلب ، ثم امتدّت يده تتعلّق بغصن قوى ، من أغصان شجرة قريبة ، وكسره بقبضة فولاذية ، ثم حمله بيديه ، واستدار يواجه (ترميناتور) مرة أخرى ..
وتوقّف (ترميناتور) فى حذر ، وكشّر عن أنيابه ، ثم تراجع خطوة أو خطوتين ، دون أن يرفع عينيه عن (أدهم) ..
وفجأة ارتفع صوت (هنتر) يهتف :
ـــ اهجم يا (ديستروير) .
والتقطت أذن (أدهم) وقع قوائم الكلب الآخر ، الذى انفلت من طوقه ، وانطلق مكشّرًا عن أنيابه نحوه ..
وفى نفس اللحظة ، انقضّ (ترميناتور) ..
وانحنى (أدهم) متفاديًا وثبة (ترميناتور) ، ولكنه شعر بمخالب هذا الأخير تمزّق ظهره ، ورأى بطرف عينه (ديستروير) ينقضّ عليه بدوره ، فأدار فرع الشجرة المكسور فى يديه ، وتلقّى به (ديستروير) كرمح مشهور ..
وردّدت الأحراش نباح الألم ، الذى أطلقه (ديستروير) ، عندما اخترق الغصن معدته ، مختلطًا بصرخة ذعر أطلقها (هنتر) ، وهو يشاهد مصرع ثانى كلابه فى يوم واحد ..
وبكل الغضب والثورة ، استدار (ترميناتور) ينقضّ مرة أخرى على (أدهم) ، وفى هذه المرة استطاع أن يظفر به ،

فغرس أنيابه في ذراعه ، وضرب صدره بمخالبه ..

وتصاعد الألم إلى رأس (أدهم) ، إلا أنه قاومه ببسالة ، وهوى على حنجرة الكلب بلكمة كالقنبلة ..

وصكّ صوت تحطّم حنجرة (ترميناتور) مسامع (هنتر) ، فأطلق صرخة لوعة ثالثة ، وصرخ :

ــ انطلق يا (فاير) .. اقتله يا (كيلر) .

وهنا أطلق (ألدو) الكلبين الباقيين ، فانطلقا نحو (أدهم) ، وعبرا جسد (ترميناتور) ، الذي يطلق عواءً متصلاً مختنقًا ، وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة ، وغرسا أنيابهما ومخالبهما في جسد (أدهم) ..

وبكل قوته ، راح (أدهم) يضرب الكلبين بقبضتيه ، ويدفعهما بقدميه ، و (هنتر) يصرخ :

ــ اقتلاه .. مزّقاه إربًا .

وعلى الرغم منه ، أخذ (أدهم) يتراجع أمام ضربات المخالب والأنياب ، وقد أثخنته الجراح ، وتغطى جسده بخيوط دمه النازف ..

وأدرك (أدهم) أنه لن يحتمل هذا الهجوم المزدوج طويلاً ، وأن عليه أن يجذب الكلبين بعيدًا عن صاحبهما أوّلاً ، فاستجمع قوته ، ودفعهما عنه بضربة قوية ، ثم انطلق يعدو في اتجاه الغرب ..

وصرخ (هنتر) :

ــ اتبعاه .. لا تتركاه يفلت منكما .

وانطلق الكلبان خلف (أدهم) ، وقد زادتهما رائحة دمائه شراسة ووحشية ..

ولم تكن هذه هي المشكلة الوحيدة ..

فهناك .. عند القلعة ، لمح أحد رجال (هنتر) تلك المطاردة المثيرة ، فهتف بزميله :

ــ انظر .. هناك .. إنه ذلك الأسير .. إنه يعدو أمام اثنين من كلاب (هنتر) .

ثم التقط بندقيته ذات المنظار المقرّب ، ووضعها فوق عينيه ، وصوّبها إلى (أدهم) ، وهو يستطرد في انفعال :

ــ أراهنك أن مستر (هنتر) سيدفع مكافأة كبيرة ، لمن يوقف هذا الرجل .

قال زميله في لامبالاة :

ــ ولكن حذار أن تقتله ، فمستر (هنتر) يجب أن يحتفظ لنفسه دائمًا ، بهذا الفصل الأخير .

ابتسم صاحب البندقية في سخرية ، وقال :

ــ اطمئن .. سأكتفي برصاصة في عاموده الفقري فحسب ، كما فعلت مع ذلك الأسير الياباني منذ شهرين .

قالها ومنظاره ينقل إليه صورة (أدهم) ، وعموده الفقري يتوسط الخطين المتقاطعين ، في منتصف هدف الإطلاق بالضبط ، فاستطرد الرجل :

ــ ستكون مكافأة ضخمة حتمًا .

وضغط الزناد ..

* * *

٩ ـ انفجار ..

فى الحرب العالمية الثانية ، قال القائد الأمريكى الشهير (ماك آرثر) مقولته الأشهر :

ـ فى زمننا هذا أصبح للوقت دور بالغ الضخامة ، فى حسم الكثير من المعارك والصراعات ، ففى الحروب ، قد تكون ثانية واحدة ، هى الفيصل بين الهزيمة أو النصر ، والموت أو الحياة ..

وفى موقفنا هذا لايسعنا إلا أن ننقل مقولة (ماك آرثر) ؛ إذ أنها أكثر ما يصلح تمامًا لما حدث ..

ففى نفس اللحظة ، التى ضغط فيها الرجل زناد مسدسه ، حدث الانفجار ..

انفجار من داخل القلعة ، نسف الباب الذى يقف أمامه الرجل ، فارتطم الباب بالرجل ، وأطاح به معه ، وانطلقت الرصاصة فى الهواء ، بعيدًا عن (أدهم) ..

ثم توالت الانفجارات ..

انفجارات عديدة مختلفة ، فى أماكن متباينة من القلعة ..

وساد ارتباك هائل ..

كل رجال (سكوربيون) أصابهم الذعر ، وراحوا يتخبطون ، ويطلقون رصاصات مدفعهم فى كل مكان ، دون أن يدركوا من خصومهم ، ومن أين يأتى الهجوم ..

(هنتر) نفسه أصابه الذهول ، وهتف :

ـ اللعنة ! ..ماذا يحدث هناك ؟

صرخ (ألدو) فى ارتياع :

ـ إنه هجوم .. هجوم شامل .

ثم أمسك ذراع زعيمه ، وصرخ :

ـ أسرع ياسيِّدى ..أسرع .. لابد لنا من بلوغ حظيرة الطائرات ، لنفرّ من الجزيرة .

صاح به (هنتر) فى صرامة :

ـ لا .. ليس قبل أن أقتنص ذلك المصرى .

صرخ (ألدو) :

ـ لا وقت ياسيِّدى .. صدقنى .. لا وقت .

صاح به (هنتر) غاضبًا :

ـ اذهب أنت إلى الجحيم .

تردَّد (ألدو) لحظة ، ثم لم تلبث غريزة البقاء فى أعماقه أن هبَّت واستيقظت ، فدار على عقبيه ، وانطلق يعدو مزمعًا الفرار ..

أما (أدهم) ، فلم يكد يسمع أصوات الانفجارات ، حتى أدرك أن شيئًا ما يحدث لصالحه ، فهتف :

ـــ هيا يا (أميجو) .. إنها فرصة نادرة للنجاة .

وانحرف بحركة حادة ، وأبدل اتجاهه ، من الغرب إلى الجنوب ، وانطلق يعدو بكل قواه عبر المنطقة العشبية العارية ، في اتجاه القلعة ، مستغلًا حالة التوتر ، التي أربكت الجميع ، وستمنعهم حتمًا من مواجهته ..

وانطلق خلفه كلبا الصيد (فاير) و (كيلر) ..

وعلى الرغم من سرعة عدو (أدهم) المدهشة ، راحت المسافة بينه وبين الكلبين تقصر وتقصر ..

وفجأة انقضّ (كيلر) على ظهر (أدهم) ، وأنشب فيه مخالبه وأنيابه ..

وسقط (أدهم) على وجهه ..

ووثب فوقه (فاير) بدوره ..

ومرة أخرى راحت المخالب والأنياب تضرب جسد (أدهم) بلا رحمة ، وتمزّق جلده ..

وسالت دماء البطل ..

وفجأة ارتفع صوت (هنتر) الآمر يقول :

ـــ كفى .

وعلى الفور توقّف الكلبان ، كما لو أنهما آلة انقطعت عنها أسلاك التيار الكهربى بغتة ، وتراجعا عن جسد (أدهم) ، ليبرز من خلفهما وجه (هنتر) ، وهو يرفع بندقيته ذات المنظار فى وجه (أدهم) ، ويقول فى صرامة :

ـــ انتهت المطاردة يا رجل .

كان من الواضح أنه لا يبالى بالانفجارات فى القلعة ..

بل لا يبالى حتى بدمار المنظمة كلها ..

لقد أصبح الهدف الوحيد ، الذى يسعى إليه ، هو مصرع (أدهم) ..

أما (أدهم) نفسه فقد كان فى أسوإ حالاته ..

لقد نزف الكثير من دمائه ، واستهلك معظم طاقته ، ولم يعد قادرًا على الفرار من رصاصة صياد ماهر مثل (هنتر) ..

وبكل مقته وكراهيته ، صوّب (هنتر) فوهة بندقيته إلى صدر (أدهم) ، وقال :

ـــ أخيرًا سأظفر بك يا رجل .. أخيرًا سأحقّق ما عجزت عنه أنظمة المخابرات فى العالم أجمع .. إن ملفك ، الذى أحتفظ به ، سيحوى فى النهاية شهادة وفاتك ، بتوقيع (هنتر) ..

غمغم (أدهم) فى تهالك :



ليبرز من خلفهما وجه (هنتر) ، وهو يرفع بندقيته ذات المنظار فى وجه (أدهم) ، ويقول فى صرامة : — انتهت المطاردة يا رجل ..

— هل تملك ملفًا كاملًا عنى ؟ .. ما اسمى الحقيقى إذن ؟ .. أخبرنى .

اتجهت سبّابة (هنتر) نحو زناد البندقية ، وهو يقول :

— سأخبرك يا رجل .. سأخبرك من أنت ، ثم أطلق النار على رأسك مباشرة ..

إن اسمك ، الذى ترتجف له كل أنظمة المخابرات والجريمة فى العالم هو ..

لم يكمل (هنتر) الجواب ..

ولم يضغط زناد بندقيته ..

حتى (أدهم) لم يسمع صوت الرصاصة ..

لقد فوجئ بـ (هنتر) يبتر حديثه بغتة ، ورأسه يندفع إلى الأمام بحركة حادة ، ثم تتسع عيناه ، ويترنّح جسده ، وتسقط البندقية من يده ، ثم يسقط هو على وجهه ، وتندفع من مؤخرة عنقه نافورة من الدم ..

ومع سقوطه ظهر خلفه جسم (سونيا) ، والمسدّس المزوّد بكاتم الصوت ، الذى تمسك به ، والدخان يتصاعد من فوهته ، ومن نظرتها الممتلئة بغضًا وكراهية ..

واستدار (فاير) و(كيلر) يواجهان (سونيا) فى ثورة ، بعد أن قتلت سيدهما برصاصة فى مؤخرة رأسه ، ولكن

(سونيا) أدارت فوهة مسدسها إليهما ، وأطلقت منه رصاصتين صائبتين ، صرعتا الكلبين على الفور ..

وبكل لهفتها وحبها ، اندفعت (سونيا) نحو (أدهم) ، وانحنت عليه هاتفة :

— هل وصلت فى الوقت المناسب ؟

غمغم (أدهم) :

— نعم .. لقد فعلت .

هتفت فى ارتياع :

— يا إلهى !! .. إنك مصاب بشدة .

تجاهل هذا ، وهو يتحامل على نفسه لينهض ، قائلاً :

— ما الذى يحدث عند القلعة ؟ .. إننى أسمع انفجارات عديدة .. أهو هجوم .

أجابته فى حسم :

— أنا التى وضعت هذه القنابل .

هتف فى دهشة :

— أنت يا (نورما) ؟

ثم توقف يسألها :

— ولكن أخبرينى .. كيف وصلت إلى هنا ؟

قالت وهى تحثه على الإسراع :

— إنها قصة طويلة ، سأخبرك بها فيما بعد .. المهم الآن أننى أحتفظ بزورق بخارى عند الشاطئ ، وعلينا أن نبلغه فى سرعة .

كانت آلامه تفوق ما يمكن أن يحتمله رجل عادى ، إلا أنه راح يعدو إلى جوارها نحو الشاطئ ، عبر الأحراش ، وهو يسألها :

— هذا الرجل يقول إن لديه ملفًا كاملاً عنى ، وإن كل أجهزة المخابرات والمنظمات تسعى خلفى ، وتحاول قتلى ، فما الذى يعنيه هذا ؟

أجابته :

— إنك لست بالرجل العادى ياعزيزى (موشى) .

مرة أخرى لم يشعر بالارتياح ، لأنها تخاطبه باسم (موشى حاييم دزرائيل) هذا ..

صحيح أنه يذكر الاسم جيدًا ، ولكنه لا يشعر أبدًا أنه اسمه(*) ..

وبسرعة نقل إليها إحساسه هذا ، وهو يسألها فى ضيق :

— أأنت واثقة من أن هذا هو اسمى الحقيقى ؟

(*) راجع قصة (الجليد المشتعل) .. المغامرة رقم ٦٥

شعرت بقلقه وتوتره ، فأسرعت تجيب :

ــ بالتأكيد ياعزيزى ، ولكنك لم تستخدمه كثيرًا ، ولم تعد تستخدمه منذ فترة طويلة .

ثم استطردت فى لهفة مفتعلة :

ــ والآن هيا .. أسرع .. الوقت أضيق من أن نضيعه فى نقاش كهذا .

واصلا عدوهما ، حتى بلغا ذلك الزورق ، الذى تركه عند الشاطئ ، وقد بلغ إعياء (أدهم) مبلغه ، فعاونته على ركوب الزورق ، ثم أدارت المحرّك ، وانطلقت مبتعدة عن (تيرور) ، هاتفة فى زهو ظافر ..

ــ لقد انتصرنا يا (تيرور) ..انتصرنا على أسطورتك كلها ..

ومن خلف الزورق ، دوى انفجار هائل ..

انفجار بدأ ينسف القلعة كلها دفعة واحدة ..

ثم راح ينسف الجزيرة أجمة وراء قطعة ..

واعتدل (أدهم) هاتفًا فى دهشة :

ــ ما هذا ؟

أطلقت (سونيا) ضحكة ظافرة ، وهتفت :

ــ إنه أحد برامجهم الدفاعية ، المختزنة فى أجهزة الكمبيوتر

يا زوجى العزيز ..

برنامج معدّ لنسف الجزيرة كلها ، إذا ما حاق بها خطر داهم ، لاسبيل لصده ..

ــ لقد صنعت خطرًا وهميًا ، خدعت به أجهزة الكمبيوتر ، فانتقلت لتنفيذ خطة التدمير الشاملة على الفور ، وكل الانفجارات السابقة ، وحتى الآن ، مجرد خطوات زمنية مدروسة للخطة ..

هتف (أدهم) فى غضب :

ــ ولكنك أرقت نهرًا من الدماء ..

لوّحت بذراعها هاتفة :

ــ فليكن ، ما دام ذلك النهر قد جرف معه كل الخطر

مع آخر حروف كلماتها دوى الانفجار الأخير ..

وانتهى آخر جزء من جزيرة (تيرور) ، معقل منظمة (سكوربيون) ..

ولم يعد هناك وجود لها على الخرائط ..

أو حتى على المحيط ..

* * *

قفزت (منى) من مقعدها ، هاتفة :

ــ يا إلهى ! .. لقد بلغنا أمر نسف جزيرة (تيرور) وغرقها

بالفعل ، ولكننا لم نتصوّر أبدًا أنك خلف هذا يا (أدهم) .

أشارت (سونيا) إلى صدرها فى زهو ، وهى تقول :

ــ بل أنا كنت خلف هذا .. أنا أزلت (تيرور) من الوجود .

ثم التفتت إلى (أدهم) ، مستطردة :

ــ لأحمى من أحبّ .

تطلّع إليها (أدهم) بنظرة باردة ، وقال :

ــ أكان هذا هو هدفك حقًا ؟

أجابته فى لهجة أدهشت (منى) وأثارت غيرتها ؛ لفرط ما حملته من صدق وحب وإخلاص :

ــ أقسم لك أنه كان هدفى بالفعل .

والتقطت نفسًا عميقًا من سيجارتها ، وهى تستطرد :

ــ عندما راجعت أجهزة الكمبيوتر ، علمت أن (هنتر) لم يكن قد أبلغ خبر وجودك على قيد الحياة لأحد بعد ، ويبدو أنه كان ينتظر أن يقتلك أوّلًا ، ولهذا كان علىّ أن أمحو برنامج (تيرور) ، بكل ما يحويه من معلومات عنك ، ثم أنسف الجزيرة كلها ، حتى أحافظ على سر وُجودك .

قال (أدهم) فى ضيق :

ــ كان هذا تفكيرًا أنانيًا محضًا .

هتفت مدافعة عن منطقها :

ــ كل المحبين مفرطون فى الأنانية ، فالأنانية هى الغريزة الطبيعية ، فى أعماق الجميع .. هى غريزة التملّك ، وحب البقاء ، وحتى غريزة الجوع .. كل غرائز الإنسان ذات طبيعة أنانية ، مهما حاول إنكار هذا .

هتفت (منى) محتجّة :

ــ فيما عدا الحب .

أجابتها (سونيا) :

ــ بل الحب هو أكثر المشاعر أنانية ، حتى من يتصوّرون أنهم يضحّون من أجل من يحبون ، يفعلون هذا من منطلق الأنانية ، فهم ــ دائمًا ــ من الطراز الذى يسعده الإحساس بالتضحية ؛ لذا فهو يضحّى ليسعد ذاته ، وهذه أنانية ، ولكنها مثل أقراص الدواء ، مغلّفة بالسكّر .

قال (أدهم) فى ضيق :

ــ احتفظى بفلسفتك لنفسك يا (سونيا) .

أجابته فى استسلام :

ــ كما تأمر يا زوجى العزيز .

ابتلعت (منى) مرارتها مع لعابها ، عندما سمعت (سونيا) تخاطب (أدهم) بهذا اللقب ، وأرادت الفرار من الموقف

كله ، فقالت :

ــ إذن فقد نجحنا فى الفرار من (تيرور) ، وتجاوزنا الخطر .

هزّت (سونيا) رأسها نفيًا ، وقالت :

ــ لا .. لم يكن الخطر قد انتهى بعد .

سألتها (منى) :

ــ لماذا ؟ .. ألم يتمّ نسف الجزيرة كلها ؟

ابتسمت (سونيا) فى زهو ، وقالت :

ــ هذا صحيح ، ولكن بقى خطر واحد .

سألتها :

ــ ما هو ؟

اعتدلت (سونيا) مقلّدة (أدهم) ، وهى تقول :

ــ سأخبرك أنا هذه المرة ..

* * *

لم يكن ــ فى الوجود كله ــ من هو أكثر سعادة من (سونيا جراهام) ، وهى تقود الزورق عائدة إلى (المكسيك) ، بعد نسف (تيرور) ..

لقد انتصرت ، واستعادت من تحب ، وضمنت إخفاء سره عن الجميع ، ليبقى لها وحدها ..

صحيح أن (أدهم) مثخن بالجراح ، وأنه يرقد على سطح الزورق ، فى حالة أقرب إلى فقدان الوعى ، ولكنها تعلم أن جسده القوى سيقاوم هذا ، وسيحتمل ما فقده من دماء ، حتى تبلغ الشاطئ ، وتنقله إلى أقرب مركز إسعاف أو مستشفى ..

ونقودها ستضمن بقاء الأمر سرًّا ..

إنها تعلم سحر النقود ، وخاصة فى بلد نام ، مثل (المكسيك) ..

وفجأة قطع أفكارها ذلك الهدير ..

هدير مروحة هليوكوبتر تقترب فى سرعة من الزورق ..

وعندما رفعت (سونيا) رأسها إلى أعلى ، أدركت طبيعة الخطر على الفور ..

لقد كان (ألدو) ..

آخر من بقى من (تيرور) ، داخل هليوكوبتر مزوّدة بمدفعين آليين ، انهمرت منهما الرصاصات نحو الزورق ..

كان انتقام آخر العقارب ..

* * *

١٠ — المطاردة ..

ضغط (ألدو) زر إطلاق مدفعى الهليوكوبتر فى بغض هائل ، وهو يهتف فى غضب :

— فلتذهبا إلى الجحيم .. لن يبقى حيًا من نسف منظمة (سكوربيون) كلها .

انقضّ بالهليوكوبتر ، ممطرًا الزورق برصاصات مدفعيه ، ولكن (سونيا) راوغت بالزورق فى مهارة ، فأصابت رصاصاته سطح المحيط ، إلى يمين الزورق ، فعاد يرتفع قائلًا :

— ناورى كما يحلو لك أيتها اللعينة ، ولنر من يربح فى النهاية .

كانت (سونيا) تبذل أقصى جهدها لمناورة الهليوكوبتر ، ولكنها كانت تعلم أن مناوراتها لن تمضى إلى الأبد ، وأن (ألدو) سينجح فى إصابة الزورق ، إن آجلًا أو عاجلًا ، فهتفت فى غضب :

— اللعنة ! .. لماذا لم تمت مع الآخرين أيها الوغد ؟

جاوبها (ألدو) بسيل من الرصاصات ، أصاب بعضه مقدمة الزورق ، فصرخت (سونيا) فى ذعر :

— أيها الحقير .

وفجأة شعرت بيد (أدهم) على كتفها ، وسمعته يسألها فى حزم ، على الرغم من الإعياء الشديد ، الذى يكسو وجهه وملامحه :

— ألديك سلاح نارى ؟

هتفت فى قلق :

— ولكنك تكاد تسقط فاقد الوعى يا عزيزى .

كرّر فى صرامة :

— ألديك مسدس ؟

ناولته مسدسها فى سرعة ، وهى تقول فى توتر :

— ها هوذا ، ولكنه لا يحوى سوى رصاصتين .

قال فى حزم :

— ينبغى أن نحسن استغلالهما إذن .

تضاعف قلقها ، عندما رأته يتجه إلى مؤخرة الزورق ، وهو يترنّح من فرط الإعياء والضعف ، وتوقّفت عن المناورة ، خشية أن تسقطه عن سطح الزورق ، وغمغمت فى توتر بالغ ، عندما رأت الهليوكوبتر تدور من بعيد ؛ استعدادًا للانقضاض مرة أخرى :

— لابد أن تنجح هذه المرة يا (أدهم) .. لابد .

أما (ألدو) ، فقد رأى (أدهم) واقفًا فى مؤخـرة الزورق ، بصدره العارى ، الذى تغطّى بخيوط عدة من الدم ، فاشتعل غضبه أكثر وأكثر ، وصرخ :

ـ أحسنت أيها المصرى .. سأمزّقك برصاصاتى إربًا .

ثم انقضّ بالهليوكوبتر ، صارخًا :

ـ الويل لك !!

ورأى (أدهم) الهليوكوبتر تنقضّ عليه ، ولكن قلبـه لم يشعر بالخوف ، وإنما نفض جسده كل ما يشعر به من إعياء وإرهاق ، وتجمّدت عضلاته كلها ، وبدت عيناه أشبه بعينى صقر ، وهو يمسك مقبض المسدّس بقبضته ، ويصوّبـه إلى الهليوكوبتر فى إحكام ..

واقتربت الهليوكوبتر ..

اقتربت أكثر .. وأكثر .. وأكثر ..

ومن داخلها هتف (ألدو) :

ـ استعد للانتقال إلى الجحيم أيها المصرى ..

وامتدّ إبهامه إلى زرّ الإطلاق ، أعلى عصا القيادة ..

ولكن (أدهم) أطلق رصاصته أوّلًا ..

أطلقها نحو رأس (ألدو) تمامًا ، الذى يبدو واضحًا ، من خلف زجاج واجهة الهليوكوبتر ..



ورأى (أدهم) الهليوكوبتر تنقضّ عليه ، ولكن قلبه لم يشعر بالخوف ..

وارتطمت رصاصة (أدهم) بزجاج الهليوكوبتر ..

وأصابت الموضع المنشود تماما ..

وجذب (ألدو) عصا القيادة بصورة غريزية ، وهو يصرخ :

ـ لا .

ولكن الرصاصة لم تخترق زجاج الهليوكوبتر ..

لقد ارتطمت به ، وارتدت عنه فى عنف ، ولكن الهليوكوبتر نفسها ارتفعت إلى أعلى ، مع جذب (ألدو) لعصا القيادة ، وهتف (ألدو) فى فرح :

ـ يا إلهى ! .. هذا صحيح .. كيف نسيت الأمر ؟! .. إن زجاج الهليوكوبتر من ذلك النوع المضاد للرصاص .

أطلق ضحكة شيطانية ظافرة ، وصنع دورة واسعة بالهليوكوبتر ، وهو يصرخ :

ـ لقد خسرت أيها الشيطان المصرى .. أما أنا ، فلن أخسر هذه المرة .. صدقنى .. آخر ما ستراه فى حياتك الحافلة هو هذه الهليوكوبتر ، وهى تنقض عليك .. عاد يطلق ضحكاته الشيطانية الرهيبة ، واستدار ، لينقضّ على الزورق انقضاضته الأخيرة الحاسمة ..

وفى الزورق هتفت (سونيا) فى هلع :

ـ لا فائدة .. إنك لم تعد تمتلك سوى رصاصة واحدة ، وزجاج الهليوكوبتر مضاد للرصاصات كما رأيت ، وخزان الوقود فى هذا الطراز سميك ، يصعب اختراقه برصاصة واحدة ، من مسدس كهذا .

لم يجب (أدهم) ..

لم يبد حتى أنه سمعها ..

كانت حواسه كلها متجهة نحو الهليوكوبتر ..

ونحو الرصاصة الوحيدة فى المسدس الذى يحمله ..

ومرة أخرى تكرّر المشهد ، و (ألدو) ينقضّ على الزورق صارخا :

ـ إلى الجحيم أيها المصرى .

وقفز إبهامه ، ليضغط زر الإطلاق ..

وفى هذه المرة أيضا ، ضغط (أدهم) زناد مسدسه أوّلا ..

ولكن الرصاصة لم تنطلق نحو زجاج الهليوكوبتر ..

ولا نحو خزان الوقود ..

لقد انطلقت نحو نقطة صغيرة فى ذيل الهليوكوبتر ، لا يقدر على إصابتها سوى رجل خارق فى إصابة الهدف ..

أو رجل المستحيل ..

وعندما أصابت الرصاصة هذه النقطة ، حطّمت ترسا

صغيرًا ، فانفصلت المروحة الخلفية للهليوكوبتر في عنف ..

وفقدت الهليوكوبتر توازنها بغتة ..

فقدته وراحت تدور حول نفسها في عنف ، و (ألدو) داخلها يصرخ :

ــ ماذا فعلت أيها الشيطان ؟ .. ماذا فعلت ؟

وبسرعة ، وقبل أن يضيع الوقت ، التقط (أدهم) وعاء الوقود الاحتياطي للزورق ، وألقاه بكل ما تبقّى له من قوة نحو المروحة العلوية للهليوكوبتر ، بعد أن انخفضت الطائرة كثيرًا ، واقتربت من سطح المحيط ..

وارتطمت المروحة بالوعاء ..

وتحطّم وعاء الوقود ..

وتطايرت أجزاء المروحة المعدنية ..

ومع احتكاك الأجزاء المعدنية المتطايرة ، كانت هناك شرارة نارية واحدة ..

واشتعل الوقود ..

وكان الانفجار ..

انفجرت الهليوكوبتر براكبها كقنبلة هائلة ، وتطايرت شظاياها في عنف ..

وانتزع الانفجار (أدهم) عن سطح الزورق ، وألقاه في

المحيط ، وصرخت (سونيا) :

ــ لقد نجحت يا (أدهم) .. لقد نجحت .

أدركت فجأة أنها قد أخطأت ، ونطقت باسمه الحقيقي ، ولكن صوت الانفجار طغى على هتافها ، فتنهّدت في ارتياح ، وأسرعت توقف الزورق ، ثم اندفعت نحو الجهة التي سقط فيها (أدهم) ..

وهناك ، كان (أدهم) يضرب الماء بذراعيه ، بكل ما تبقّى له من قوة ، ليسبح عائدًا إلى الزورق ..

ولكن قلب (سونيا) سقط بين قدميها ..

لقد رأت ما لم يره (أدهم) ..

فهناك ، على بعد أمتار قليلة ، كانت هناك زعنفة سوداء بارزة ، تسبح نحو (أدهم) ..

زعنفة لسمكة من أسماك القرش القاتلة ..

* * *

لم تكن هناك رصاصة واحدة ..

أو حتى خنجر ..

وكان جسد (أدهم) ينزف ..

وأسماك القرش ، كما تعلمون ، تمتلك حاسة شم قوية ،

وخاصة بالنسبة للدم ، الذى تثيرها رائحته ، وتصيبها بالشراسة والجنون ..

حتى عندما تصاب سمكة قرش أخرى بجرح ، تنقضّ عليها الأسماك الأخرى ، وتلتهمها بلا رحمة ..

و (أدهم) مرهق متعب ، كما لم يكن من قبل ..

وصرخت (سونيا) فى انبهار :

ـــ سمكة قرش .

استدار (أدهم) فى سرعة ، ورأى الزعنفة السوداء تشق الماء نحوه فى سرعة ..

وهنا انطلقت تلك المعجزة ، الكامنة فى عقل (أدهم) ..

لم يكد يواجه الخطر ، حتى أطلق عقله كل طاقته دفعة واحدة ، وأزاح التعب والإرهاق جانبًا ، ولكز الغدة فوق الكلوية ، فأطلقت كل مخزونها من (الأدرينالين) ، ودفعته فى عروق (أدهم) وخلاياه ، فانطلقت طاقاته الكامنة من عقالها ..

وفى جزء من الثانية ، تحوّل الرجل المرهق المنهك إلى شخصية أخرى ، تموج بالنشاط والقوة ..

وعندما بلغ القرش موضع الزورق ، وفتح فكيه عن آخرهما ؛ ليطبقهما على ضحيته ، كانت هذه الضحية قد غاصت إلى الأعماق ، وتركت القرش يُطبق فكيه على الماء فحسب ..

وبسرعة تنافس الأسماك ، دفع (أدهم) ذراعيه وساقيه ، وسبح أسفل الزورق ، ثم برز من جانبه الآخر ..

وغاصت سمكة القرش خلفه ، وفتحت فكيها لتطبقهما على ساقيه فى غضب ، ولكنه أمسك حافة الزورق بقبضتيه ، وانقبضت عضلاته كلها ، ودفعت جسده إلى أعلى فى قوة ، فى نفس اللحظة التى أطبق فيها القرش فكيه على حذائه ..

وغاص القرش فى المحيط مهزومًا مدحورًا ، وقد خسر ضحيته ، فى حين احتضنت (سونيا) (أدهم) فى لهفة وسعادة ، هاتفة ..

ـــ يا إلهى ! .. لقد نجوت يا (أدهم) .. لقد نجوت .

ولكنها لم تتلق جوابًا ..

لقد استنفد الصراع الأخير كل طاقات بطلنا ..

فسقط ..

سقط فى هوة عميقة ..

* * *

١١ ـ مساومة ..

التقطت (سونيا) نفسًا عميقًا من سيجارتها ، ونفثت الدخان في اتجاه (منى) ، وهي ترمقها بنظرة أنثوية مستفزة ، قائلة :

ـ بعدها قدت الزورق حتى ساحل (المكسيك) ، حيث تم إسعاف زوجي العزيز (أدهم) ، وتضميد جروحه ، ثم نقله بطائرة خاصة ، إلى أكبر مستشفى في (كيواوا) ؛ ليقضي هناك فترة النقاهة .

لم تستطع (منى) إخفاء ضيقها ، وهي تقول :

ـ من يصدّق هذا ؟ ..أنت يا (سونيا) تسعفين (أدهم) ، وتبذلين قصارى جهدك لإنقاذ حياته ، بعد كل محاولاتك السابقة لتدميره والقضاء عليه !؟

عقد (أدهم) حاجبيه في ضيق ، وهو يتطلّع عبر النافذة في صمت ، في حين هزّت (سونيا) كتفيها ، قائلة :

ـ كل امرأة تفعل كل ما يمكنها ، عندما تحبّ .

كادت (منى) تصرخ في وجهها ..

كادت تهتف بأنها أيضا تحب ..

تحب نفس الرجل ..

نفس الحبيب ..

ولكنها لم تستطع ..

اختنقت الكلمات في حلقها ..

ماتت على طرف لسانها ..

ذابت على شفتيها ..

لم تكن قادرة على تصديق ماحدث ..

كيف أدار القدر هذه اللعبة العجيبة ؟ ..

كيف دفع (أدهم) بين ذراعي عدوّته اللدود ، ليجعل منها حبيبة وزوجة ؟ ..

كيف ؟ ..

انتزعتها (سونيا) من شرودها وأحزانها ، وهي تقول :

ـ ولكن الأمر لم ينته عند هذا الحد .

رفعت (منى) عينيها إليها ، وسألتها في خواء :

ـ هل هاجمكم رجال (كال) ؟

هزّت (سونيا) رأسها نفيًا ، وقالت :

ـ لم يعد هناك رجال يتبعون (كال) ، فكل هؤلاء مجرّد مرتزقة ، يعملون لحساب من يدفع أكثر ، وتدمير (تيرور) ، وتحطيم رأس (سكوربيون) ألقاهم إلى الشتات ، فارتبكوا ،

وانفك عقدهم ، وذهبت ريحهم .

سألتها (منى) :

ـــ لماذا تقولين إن الأمر لم ينته إذن ؟

اعتدلت (سونيا) فى مقعدها ، وقالت :

ـــ لأننى كنت أريد الأمن والأمان فى (كيوتوا) ، مع (أدهم) ، بعيدًا عن أية منغصات ، وأية مخاطر ، قد تؤدى إلى استعادته ذاكرته .

سألتها (منى) ، وقد تلبدت مشاعرها تقريبًا

ـــ وماذا فعلت ؟

ابتسمت (سونيا) فى زهو ، وقالت :

ـــ سأخبرك ..

وأخذت تروى ما لديها ..

* * *

نهض الحاكم (خوان) من مقعده ، يستقبل (سونيا جراهام) فى حرارة ، ويصافحها فى احترام بالغ ، وهو يقول :

ـــ مرحبًا ياسنيورا (نورما) ، مرحبًا بك فى مكتبى المتواضع .. لقد بلغتنى أنباء حادث الصيد المؤسف ، الذى تعرّضت له مع زوجك المحترم ، وأعلم أنه يعالج الآن فى

مستشفى الدكتور (بابلو) ، ولقد أرسلت له باقة من الزهور ، وأمرت بتقديم كل التسهيلات والمعاونات لكما ، و ..

قاطعته فى صرامة أدهشته :

ـــ وماذا عن المزرعة ؟

سألها فى حيرة :

ـــ أية مزرعة يا سنيورا ؟

اتخذت مجلسها على المقعد المقابل لمكتبه ، ووضعت إحدى ساقيها فوق الأخرى ، والتقطت من علبة سجائرها سيجارة رفيعة وردية اللون ، أسرع الحاكم يشعلها لها بقداحة مكتبه ، فشكرته بإيماءة جذابة من رأسها ، وألقت رأسها إلى الوراء على نحو زادها فتنة وإغراء ، ثم نفثت الدخان فى عمق وهدوء ، وأدارت عينيها فى بطء إلى الحاكم ، وقالت :

ـــ أنت تعلم بالطبع أننى سيّدة بالغة الثراء .. أليس كذلك ؟

هتف الحاكم فى حماس :

ـــ ومن ذا الذى يجهل السيّدة (نورما كربنهال) ، أشهر سيّدة أعمال فى (أوروبا) كلها ، و ..

قاطعته :

— الواقع أننى سئمت كل هذه الأعمال .

رفع حاجبيه فى دهشة ، هاتفًا :

— سئمت أعمالك ؟

أشارت بسيجارتها الوردية ، قائلة :

— لهذا قمت بتصفية كل أعمالى فى (أوربا) ، وحوّلت ثروتى كلها إلى نقود سائلة ، تكفى وحدها لإقامة مؤسسة مصرفية ضخمة .

ازدرد الحاكم لعابه ، وهو يتمتم :

— بالتأكيد يا سنيورا .. بالتأكيد .

تطلّعت إليه بنظرة جانبية ، وهى تقول :

— وأنا أفكّر فى استثمار هذه الثروة هنا .

ارتفع حاجبا (خوان) ، وتهلّلت أساريره فى سعادة ، وهتف :

— نعم الاختيار ياسيّدتى .. نعم الاختيار .. (كيوا) مدينة رائعة ، يمكنك إنشاء عدة أشياء فيها ، فهى ..

قاطعته فى حسم :

— ولكننى أحتاج إلى مزرعة .

بُهت الرجل لحظة ، قبل أن يردّد فى ارتباك :

— مزرعة ؟!

أجابته فى برود حاسم :

— بالطبع ، فلن يمكننى إدارة استثماراتى ، إلا وأنا أقيم فى مكان جيّد ، مريح للأعصاب ، و ..

جاء دوره ليقاطعها هذه المرة ، وهو يقول :

— ولكن القانون هنا يحظر على الأجانب تملّك الـ ..

قاطعته فى صرامة :

— عجبًا !! .. كيف كان (توماس موران) يبتاع المزارع إذن .

شحب وجه الرجل ، وتضاعف ارتباكه ، وهو يقول :

— فى الواقع .. إن مستر (موران) كان .. أعنى أنه هناك ..

قالت (سونيا) فى حزم :

— سأخبرك أنا بالجواب يا (خوان) .

ثم مالت نحوه بحركة مباغتة ، مستطردة :

— لأن القانون يمنح حاكم المقاطعة حق استثناء أى أجنبى ، من هذا الحظر .

ازدرد (خوان) لعابه ، وقال :

— هذا صحيح .. ولكن بالنسبة لمستر (موران) ، كان هناك ..

لم تكن تنوى منحه فرصة للفرار أو التراجع ، لذا فقد قاطعته قائلة :

— وحسب معلوماتى ، أنت تستعد لخوض الانتخابات القادمة .. أليس كذلك ؟

بدت له العبارة أشبه بالتهديد ، فغمغم :

— سنيورا (نورما) .. القانون هنا ..

عادت تقاطعه :

— والحملة الانتخابية تحتاج إلى تمويل كبير بالطبع .

صمت (خوان) تمامًا ، وقد ارتبكت الأمور فى ذهنه ، فلم يعد يدرى أى جانب يتجه إليه تفكيره ، حتى أخرجت (سونيا) من حقيبتها شيكًا ، وضعته أمام عينيه ، مستطردة :

— ولقد أعددت شيكًا بتبرّع قدره نصف مليون دولار ، من أجل حملتك الانتخابية .

برقت عيناه فى طمع وشهوة ، وهو يقول :

— حقًا !

ابتسمت فى خبث ، وقالت ، وهى تناوله الشيك :

— بالتأكيد .

قفزت يده لتختطف الشيك ، إلا أنها أبعدته عن يده فى سرعة ، قائلة :

— هذا بالطبع مقابل استثناء بسيط .

هتف فى حماس بالغ :

— ولِمَ لا ؟

ووقّع الاستثناء على الفور ..

* * *

جفّف الشرطى (جوزيه) عرقه ، وهو يتلفّت حوله خوفًا وقلقًا ، ثم ناول (سونيا) جواز سفر وهوية شخصية ، وهو يقول :

— كل شىء على مايرام ياسنيورا .. كما طلبت تمامًا .. إنه الآن مواطن مكسيكى رسميًا ، وكل الأوراق والأختام سليمة .

التقطت الهوية وجواز السفر ، وفحصتهما فى هدوء ، وألقت نظرة على صورة (أدهم) ، ثم نقلت بصرها إلى الاسم المدوّن إلى جوارها ..

(أميجو صاندو) .. رجل أعمال مكسيكى ..

وعقدت (سونيا) حاجبيها ، وهى تسأل (جوزيه) فى حدة :

— ولماذا لقب (صاندو) هذا ؟

ارتبك فى شدة ، وهو يقول :

ـــ إنه مجرّد لقب .. أوّل لقب جال بخاطرى .. أهناك مشاكل بهذا الشأن ؟

ترددت لحظة ، ثم قالت :

ـــ لا .. لا مشاكل .

كانت تشعر بدهشة بالغة ، لأن (جوزيه) قد اختار لـ (أدهم) اسمًا يبدأ مع لقبه بحرف الألف والصاد ..

نفس حرف اسم (أدهم صبرى) ولقبه ..

نفس الحرفين ، اللذين يهوى (أدهم) اختيارهما كبداية لأسمائه وألقابه المستعارة ..

يا للقدر ! ..

لقد ظلّت تفكّر فى هذا الأمر ، وفى تلك المصادفة العجيبة ، حتى بلغت مستشفى الدكتور (بابلو) ، وصعدت إلى حجرة (أدهم) ..

وعندما فتحت باب الحجرة ، وألقت أوّل نظرة على وجه (أدهم) ، تلاشت كل أفكارها ، ووجدت نفسها تقول فى حبّ :

ـــ كيف حال بطلى ؟

ابتسم فى هدوء ، وهو يقول :

ـــ كيف حالك أنت ؟

اتجهت إليه ، وضمّته إليها فى حب وشوق وحنان ، ثم تطلّعت إلى وجهه ، قائلة :

ـــ لقد انتهت كل مشاكلنا يا زوجى الحبيب .. الآن فقط يمكننا أن نحيا فى أمن وسلام .

قال فى هدوء بسيط :

ـــ المشاكل لا تنتهى أبدًا يا زوجتى العزيزة .

ألقت رأسها على صدره ، وهى تقول :

ـــ دعنا نبتعد عنها على الأقل .

داعب هو شعرها الأشقر الجميل ، دون أن يتطلّع إليها ..

كان يشعر بحيرة بالغة ، وهى بين ذراعيه ..

إنها تحبه ..

ما من شك فى هذا ..

كل لمسة وكل نظرة ، وكل نبضة قلب منها تؤكّد هذا ..

إنها عاشقة ..

عاشقة من قمة رأسها ، وحتى أخمص قدميها ..

لماذا يعجز عن مبادلتها هذا الحب إذن ؟ ..

لماذا يشعر دائمًا أنها ليست نفس الفتاة ، التى عشقها قلبه ، والتى تمنى الزواج منها ؟ ..

لماذا يوجد حاجز ضبابىّ بينهما باستمرار ؟ ..

عجز تمامًا عن إجابة كل هذه الأسئلة ، فاكتفى عقله بالاستسلام لواقعه ..

ولحياته الجديدة ..

وفى أعماقه ظلّ هذا الصراع دائرًا ..

صراع الذكريات ..

والبحث عن الذات ..

* * *

١٢ ـ الختام ..

ران الصمت تمامًا ، فى حجرة مكتب (منى) ، وبقى (أدهم) يتطلع عبر النافذة فى صمت ، فى حين تبادلت (سونيا) و(منى) نظرات باردة مفعمة بالعداء ، حتى قالت (سونيا) فى هدوء الظافر :

ـ وعشنا أنا و(أدهم) عامًا كاملًا تقريبًا ، فى مزرعة رائعة ، امتلك (أدهم) فيها عددًا من الجياد العربية الأصيلة ، وزرع مساحات شاسعة من الأرز والـ ..

قاطعتها (منى) هاتفة :

ـ (أدهم) ؟.. مستحيل ! .. لا يمكننى أن أصدّق أبدًا أن يقضى رجل مثل (أدهم) عامًا كاملًا ، مكتفيًا بتربية الخيل والزراعة ! .. مستحيل !!

قال (أدهم) فى مرارة ، دون أن يلتفت إليها :

ـ لم أشعر أبدًا أن هذا هو نوع الحياة ، الذى يناسبنى .

أومأت (سونيا) برأسها موافقة ، وقالت :

ـ هذا صحيح .. لقد بدا أشبه بليث حبيس ، طوال ذلك العام ، وكثيرًا ماكان يمتطى جواده المفضّل ، فينطلق به إلى

النهر ، ويجلس هناك صامتًا ، لساعات طوال ، وكأنما ينبش ذاكرته ، محاولًا استعادة تفاصيل حياته .

التفتت (منى) إلى (أدهم) ، تسأله فى اهتمام :

ـ هذا السؤال يشغلنى بالفعل ، منذ البداية يا (أدهم) .. كيف استعدت ذاكرتك ؟ .. أهى صدمة رجعية ؟

هزّ رأسه نفيًا ، وقال :

ـ لا .. هذا يحدث فى الأفلام السينمائية فحسب

سألته باهتمام أكبر :

ـ كيف استعدتها إذن ؟

صمت لحظات ، قبل أن يجيب باقتضاب :

ـ تدريجيًا .

بدا لحظة وكأنه سيكتفى بهذا الجواب المقتضب ، إلا أنه لم يلبث أن تابع فى هدوء :

ـ لقد عادت الذاكرة على هيئة أحلام .. مشاهد متفرّقة ، تراود أحلامى ، وتهاجم نومى ، وعشرات الوجوه والأسماء تقفز إلى ذهنى فى لحظات السبات ، وتتداخل فيه مع يقظتى .

صمت لحظة أخرى ، ثم واصل :

ـ حتى تذكّرت وجهك واسمك يا (منى) .



صمت لحظة ، عاد خلالها يتطلّع عبر النافذة ، مستطردًا :
ــ كانت (سونيا) التى أحيا معها سيّدة رقيقة ، حنونًا ..

لم يدر كم فجّر من ينابيع السعادة فى أعماقها ، وهى تهتف :
ــ أنا ؟!
أومأ برأسه إيجابًا ، وقال :
ــ نعم ..أنت يا (منى) .. كان وجهك هو أوّل وجه استقرّ فى ذهنى ، ثم اقترن باسمك ، وبعدها بدأ كل شىء يعود فى سرعة .. تذكّرت شقيقى (أحمد) .. ثم (قدرى) .. بدأ شريط حياتى كله يعبر أمامى .
سألته :
ــ وهل أخبرت (سونيا) عندئذ ؟
هزّ رأسه نفيًا ، وقال :
ــ لا .. لم أخبرها ، بل أخذت أستعيد ذكرياتى فى هدوء ، محاولًا أن أملأ قبضتى بها أوّلًا ، وأدركت كيف خدعتنى (سونيا) ، وكيف أقنعتنى بالزواج منها ، وأنا أظنها أنت ، ولقد أحنقنى هذا الموقف ، وأدهشنى فى الوقت نفسه ، فقد كانت (سونيا) التى تحيا معى ، شخصية تختلف تمام الاختلاف عن (سونيا) التى عرفتها قديمًا .
صمت لحظة ، عاد خلالها يتطلّع عبر النافذة ، مستطردًا :
ــ كانت (سونيا) ، التى أحيا معها سيّدة رقيقة ، حنونًا ، تغمرنى بحبها ورعايتها طيلة الوقت .

غمغمت (منى) فى دهشة :

ـ (سونيا) ؟

عقدت (سونيا) حاجبيها ، وقالت فى حزم :

ـ (سونيا) المحبة العاشقة ، تختلف حتمًا عن العدوة .

التفتت إليها (منى) ، وقالت فى حدة :

ـ ولكنك فى الحالتين (سونيا) المخادعة ، التى لا تتورّع عن ارتكاب أى أمر ، فى سبيل بلوغ غايتها .

قالت (سونيا) فى شراسة :

ـ لقد أحببت (أدهم) ، ولم أفعل ما أفعل إلا من أجله .

والتفتت إلى (أدهم) فى حدة ، مستطردة :

ـ حتى بعد أن علمت أنه قد استعاد ذاكرته ، ظللت له نعم الزوجة .

استدار إليها (أدهم) ، يتطلّع إليها لحظات فى صمت واهتمام ، قبل أن يسألها :

ـ ومتى علمت أننى قد استعدت ذاكرتى ؟

أجابته فى خنوع :

ـ بعد يوم واحد من استعادتك إياها .

بدت الدهشة على وجهه ، وهو يسألها :

ـ كيف ؟

خفضت عينيها مجيبة :

ـ صلاتك أنبأتنى .

بدا الفهم على وجهه ، فى حين استطردت هى :

ـ منذ التقينا ، ومنذ حاولت إقناعك أنك (موشى دزرائيل) ، لم تقتنع أبدًا ، ولم تحاول حتى أداء الشعائر الدينية اليهودية ، ولم تظهر حتى أدنى اهتمام بها ، بل لقد تجاهلت الطائفة اليهودية تمامًا ، وانشغلت عنها بجيادك وزراعتك .. ثم فجأة أصبحت أهدأ نفسًا ، ورحت تختلى بنفسك خمس مرات يوميًا ، فراقبتك خلسة ، ورأيتك يومًا تصلّى عند الفجر فى خشوع ، وعندئذ عرفت أنك قد استعدت ذاكرتك ، وأنك قد علمت من أنت ، وإلى أية جهة تنتمى .

استمعت إليها (منى) فى دهشة ، ثم تمتمت :

ـ أهذا معقول ؟ .. أأنت (سونيا) التى نعرفها ؟

لو أنها كانت تشعر بالدهشة قيراطًا ، عندما بدأت ذلك القول ، فقد أصبحت دهشتها هذه آلاف الأفدنة ، عندما رأت تلك الدمعة ، التى ترقرقت فى عينى (سونيا) ، وهى تقول :

ـ صدقينى يا (منى) .. حتى لـ (أدهم) أبدل مشاعرى كلها .. لقد أحببته حبًا يعجز حتى (شكسبير) نفسه عن وصفه .. أتعلمين ما الشىء الوحيد الذى خشيته ، عندما

استعاد ذاكرته ؟ .. إنه أنت ! .. لقد خشيت أن يهرع إليك ،
وأن يستيقظ حبك فى قلبه .. وهذا ما حدث .

التفتت (منى) إلى (أدهم) ، وقالت فى لهفة وشوق :

ـ حقًا ؟!

أجابها (أدهم) فى صدق :

ـ هذا صحيح يا (منى) .. لم أكد أستعيد وعيى ، حتى تفجّر شوق إليك ، والتهبت لهفتى لرؤيتك ، ولم تكد الأمور تستقر ، حتى استقليت أوّل طائرة ، وهرعت إلى هنا ، لرؤيتك .

وحملت كلماته كل حبه وشوقه وحنانه ، وهو يستطرد :

ـ لرؤيتك فقط .

أعادت إليها كلماته الأمل ..

كل الأمل ..

إذن فقد عاد من أجلها ..

لقد ترك (سونيا) وعالمها كله ، وهرع إليها ..

إنها ما زالت حبه الوحيد إذن ..

ما زالت الإمرأة الوحيدة ، التى يتمناها زوجة ..

وبكل الأمل ، الذى انتعش فى قلبها ، التفتت إلى (سونيا) ، هاتفة :

ـ إنك تدفعين الثمن يا (سونيا) .

رفعت (سونيا) حاجبيها فى دهشة ، وهى تقول :

ـ الثمن ؟! .. أى ثمن ؟

صاحت (منى) فى وجهها :

ـ ثمن الخداع .. ثمن الكذب والغش .. لقد أقنعت (أدهم) بالزواج منك ، ولكن حتى هذا الزواج لا يعدّ شرعيًا أو قانونيًا .. لقد خسرت اللعبة كلها يا (سونيا) .

استعادت (سونيا) ابتسامتها الساخرة فى سرعة ، وهى تقول :

ـ خسرت ؟ .. لا يا عزيزتى .. لم يعد هناك مجال للخسارة ، إلا بالنسبة إليك .

ثم التفتت إلى (أدهم) تسأله :

ـ ألم تخبرها بعد ؟

أجابها فى ضيق :

ـ لا .. ليس بعد .

انقبض قلب (منى) فى خوف ، وهى تقول :

ـ ما الذى لم تخبرنى به بعد يا (أدهم) ؟

هتفت (سونيا) فى شماتة :

ـ لم يعد انفصالى عن (أدهم) سهلاً يا عزيزتى .. لقد

منحه ما لم تمنحه إياه .

شحب وجه (منى) ، وهى تقول :

ـــ ما الذى تعنيه هذه الأفعى يا(أدهم) ؟

التقط (أدهم) صورة ضوئية صغيرة من جيبه ، وناولها إياها ، قائلًا :

ـــ إنها تعنى هذا يا(منى) .

تطلّعت (منى) فى ذهول إلى الصورة ، التى تحمل وجه طفل رضيع ، فى الشهر الثانى من عمره على الأكثر ، وهوى قلبها بين قدميها ، وهى تنظر إلى عينيه وشفتيه ، حتى لقد كان الجواب ـــ بالنسبة إليها ـــ واضحًا ، قبل أن يقول (أدهم) :

ـــ إنه ابنى يا(منى) .

نسفت عبارته أملها نسفًا ، وانتشرت شظاياها فى قلبها وعقلها وأعماقها ، فتبلّدت كل مشاعرها ، وهو يستطرد فى مرارة :

ـــ ابنى من (سونيا جراهام) .. صحيح أننى لم أتصوّر ، ولم أتمنّ أبدًا أن يحدث هذا ، ولكنه حدث .. ومن الضرورى أن أسعى ، ليبقى ابنى ويحيا بين والديه .. خاصة وقد تغيّرت (سونيا) بعض الشىء ، ومن الممكن أن تصبح أمًا طيبة .

أمسكت (سونيا) يده ، وهتفت فى حرارة :

ـــ أعدك أن أفعل يا(أدهم) .. أقسم لك أن أحاول .. من أجلك .. ومن أجل ابننا .

التفت هو إلى (منى) ، وحملت عيناه كل انفعاله ومشاعره ، وهو يقول :

ـــ لقد انتهى الأمر بالنسبة إلىّ يا (منى) .. لا يمكننى حتى أن أعود إلى صفوف المخابرات المصرية .. احتفظى بخبر عودتى سرًّا ، واذكرى دائمًا أننى قد عدت يومًا من أجلك .

وفى عمق وحزن ، أضاف :

ـــ الوداع يا (منى) .. وداعًا لكل شىء .

لم تغادر مقعدها ، وهو ينصرف مع (سونيا) ..

لم تنبس حتى ببنت شفة ..

إنها لم تعد أبدًا كما كانت ..

لقد ضاع أملها وحلمها وقلبها ..

ضاع منها ذلك ، الذى أحبّته بكل مشاعرها ، وما زالت تحمل له كل الحبّ ، حتى بعد كل ما عرفته ..

ضاع الرجل ..

رجل المستحيل ..

* * *

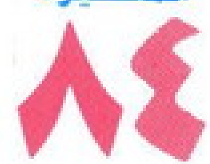
[تمت بحمد الله]

المؤلف



د. نبيل فاروق

رجل المستحيل
سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة



الثمن في مصر

وما يعادله بالدولار الأمريكي في سائر الدول العربية والعالم

جزيرة الجحيم

- ما المصير الذي يعده (هنتر) لـ(أدهم صبري) في أحراش (تيرور)؟
- هل تنجح (سونيا جراهام) في اقتحام (تيرور)، والانضمام إلى (أدهم)؟
- تُرى من يربح لعبة الصيد البشرية هذه (سكوربيون)، أم (رجل المستحيل)؟
- اقرأ التفاصيل المثيرة؛ لترى كيف يعمل (رجل المستحيل).



العدد القادم: لمسة الشر